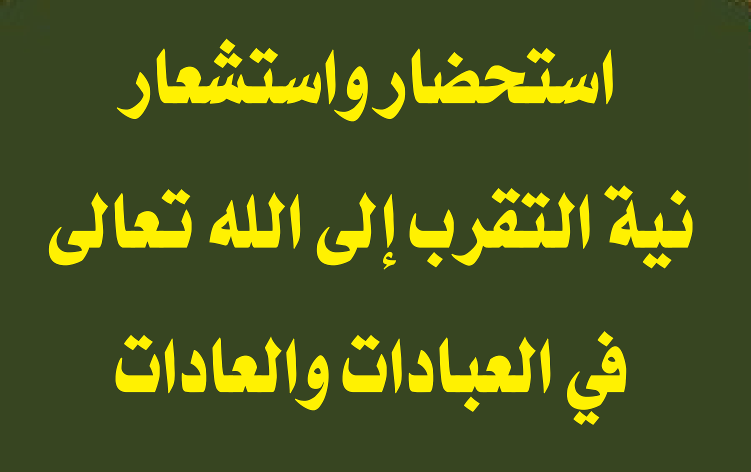


استحضار واستشعار نية التقرب إلى الله تعالى في العبادات والعادات

من كتب العلامة

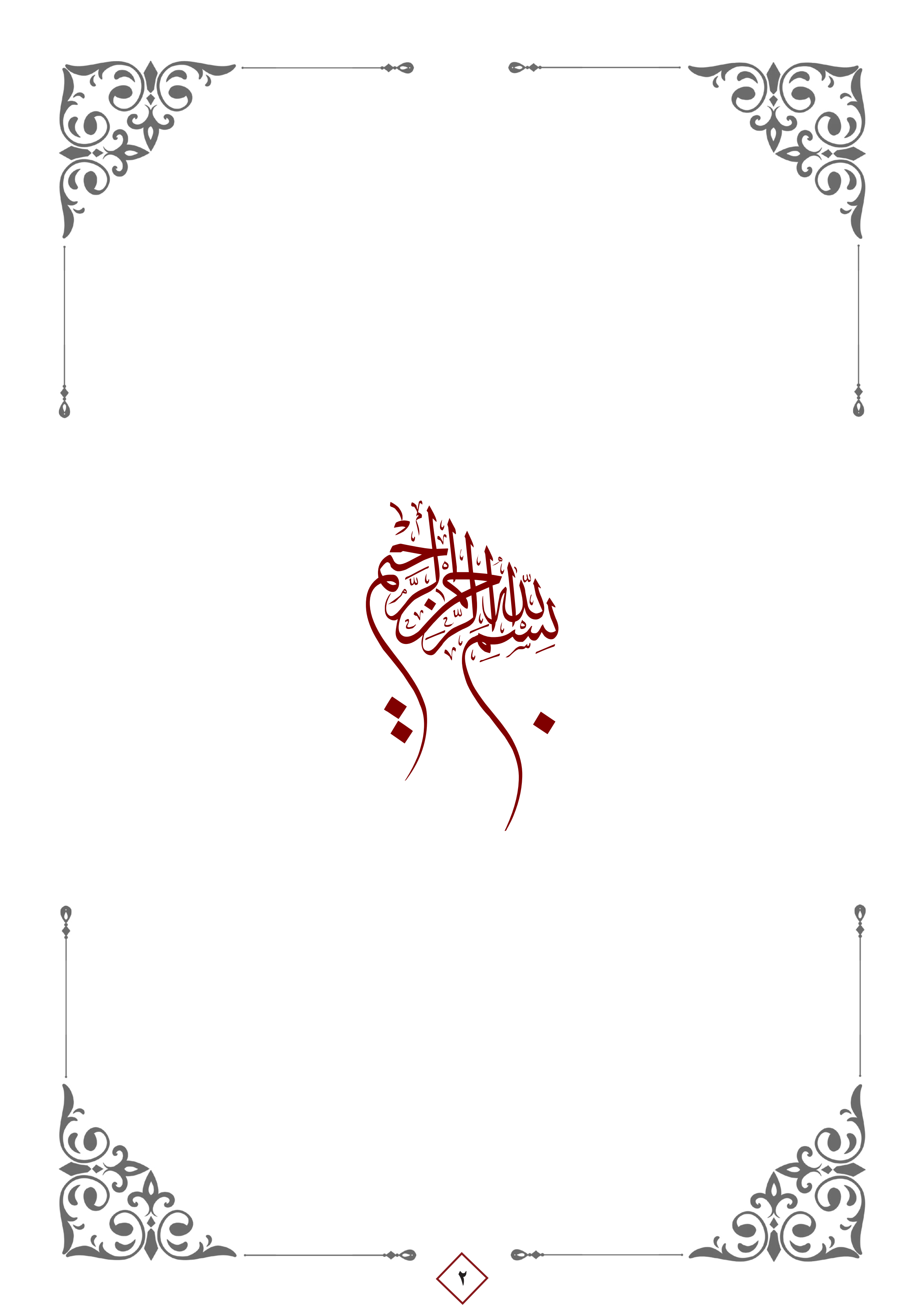
محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

جمع وإعداد

مساعد بن عبد الله السلمان

الطبعة الثالثة مصححة ومزيدة

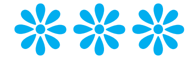
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

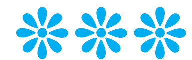
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فعندما كنت أقرأ في كتب شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان يمر بي خلال قراءتي لهذه الكتب، نفائس عزيزة قد لا توجد في بطون الكتب، حول ما يتعلق باستحضار واستشعار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ في العبادات والعادات، فكنت أقيدها لنفسي، ثم رأيت أن أخرجها ليعم نفعها، والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجه الكريم وأن ينفع به.



وصية العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: فأوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائمًا على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً!.[(١)]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧٤ .

أهمية استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

ما من عامل إلا وله نية، ولكن النيات تختلف اختلافًا عظيمـًا، وتتباين تباينًا بعيداً كما بين السماء والأرض.

من الناس من نيته في القمة في أعلى شيء، ومن الناس من نيته في القمامة في أخس شيء وأدنى شيء؛ حتى إنك لترى الرجلين يعملان عملاً واحداً يتفقان في ابتدائه وانتهائه وفي أثنائه، وفي الحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، وبينهما كما بين السماء والأرض، وكل ذلك باختلاف النية.

إذن: الأساس أنه ما من عمل إلا بنية، ولكن النيات تختلف وتتابين.[1]

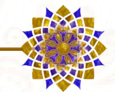
ولهذا قيل: "أهل اليقظة عاداتهم عبادات، وأهل الغفلة عباداتهم عادات" كل ذلك من أجل النية.[2]

❊❊❊

---

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٨ .

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣ .





استحضار النية عند العمل

النِّيةُ شَرْط في صِحَّة جميع العبادات لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى»، والنِّيَّة نيَّتان:

* **الأولى:** نِيَّة العمل، ويتكلَّم عليها الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أنها هي المصحِّحة للعمل.

* **الثانية:** نِيَّة المعمول له، وهذه يتكلَّم عليها أهل التَّوحيد، وأرباب السُّلوك لأنها تتعلَّق بالإخلاص.

مثاله:

عند إرادة الإِنسان الغسل ينوي الغُسْل، فهذه نيَّة العمل.

لكن إِذا نَوى الغُسْل تقرُّبًا إلى الله تعالى، وطاعة له، فهذه نيَّة المعمول له، أي: قصَد وجهه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهذه الأخيرة هي التي نغفل عنها كثيراً فلا نستحضر نيَّة التقرب، فالغالب أنَّنا نفعل العبادة على أننا ملزَمون بها، فننويها لتصحيح العمل، وهذا نَقْصٌ، ولهذا يقول الله تعالى عند ذِكْرِ العمل: ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ [الرعد: ٢٢] و﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ [الليل: ٢٠]، و﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا

مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الحشر: ٨].[١]

إذاً عندما نفعل العبادات علينا أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالاً لأمر الله تعالى؛ لأن شعور الإنسان عندما يفعل العبادة بأنه يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فإن هذا مما يزيد في إيمانه، ويجد لها لذة، وهذه هي نية المعمول له، بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل عن هذا المعنى، فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون على النيات: إن النية نوعان نية العمل ونية المعمول له، والأخيرة أعظم مقاماً من الأولى؛ لأن نية العمل تأتي ضرورة، فما من إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده، حتى قال بعض العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف مالا يطاق، لكن المقام الأسنى والأعلى: نية المعمول له التي تغيب عنا كثيراً.[٢]



(١) انظر الشرح الممتع ١/ ٣٥٨.

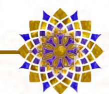
(٢) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٢.

استحضار احتساب الأجر على الله تعالى

هل يشترط للثواب على العمل أن يحتسب الأجر على الله، أو يحصل له الأجر وإن لم يحتسب ؟

نقول: إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا -ولم يقل: إيمانًا فقط، بل قال: إيمانًا واحتسابًا- غُفِر له ما تقدم من ذنبه) واحتساب الأجر له أثر عظيم على إحسان العمل؛ لأنك إذا علمتَ أنك كما تدين تُدان، وكما تعمل تُجازى، وأن الجزاء على قدر العمل؛ فسوف تحسن العمل، أما إذا شعرت بأنك إذا أديت العمل برئت ذمتك فقط، وأنك لن تعاقب على تركه، فعملك ناقص.

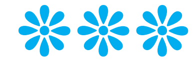
لهذا أحث نفسي وإياكم على استحضار هذا المعنى؛ أنك إذا عملتَ العمل تحتسب أجره على الله، نقول مثالاً: قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (من أسبغ الوضوء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فُتِّحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل مِن أيها شاء) وزاد الترمذي: (اللهم اجعلني من التوابين





واجعلني من المتطهرين) أريد من نفسي وإياكم أن نستحضر أننا إذا فعلنا ذلك فتِّحت لنا أبواب الجنة حتى نحرص على إسباغ الوضوء، ونحرص على قول كلمة التوحيد بعد الفراغ من الوضوء.

فهذه مسألة ينبغي أن نتفطن لها، وهي: احتساب الأجر من الله على هذا العمل.[1]



(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ١٥ .

فائدة

أذكّر نفسي وإيّاكم بمسألة مهمة وهي: كلنا يتوضّأ إذا أراد الصلاة، لكن أكثر الأحيان يريد الإنسان أن يقوم بشرط العبادة فقط، وهذا لا بأس به، ويحصل به المقصود، لكنْ هناك شيء أعلى وأتم:

* **أولاً:** إذا أردت أن تتوضأ استشعر أنك ممتثل لأمر الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦] حتى يتحقق لك معنى العبادة.

* **ثانياً:** إذا توضأت استشعر أنك متبع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فإنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحوَ وُضُوئي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» حينئذٍ يكون الإخلاص والمتابعة.

* **ثالثاً:** احتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الوضوء، لأن هذا الوضوء يكفر الخطايا، فتخرج خطايا اليد مع آخر قطرة من قطرات الماء بعد غسل اليد، وهكذا بقية أعضاء الوضوء.




هذه المعاني الثلاثة العظيمة الجليلة أكثر الأحيان نغفل عنها، كذلك إذا أردت أن تصلي وقمت للصلاة استشعر أمر الله بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة البقرة: آية ٤٣] ثم استشعر أنك تابع لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «صَلوا كَمَا رَأَيْتُموني أُصَلي» ثم احتسب الأجر، لأن هذه الصلاة كفارة لما بينها وبين الصلاة الأخرى، وهلم جراً.

يفوتنا هذا كثيراً ولذلك تجدنا- نسأل الله أن يعاملنا بعفوه- لا نصطبغ بآثار العبادة كما ينبغي وإلا فنحن نشهد بالله أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكن مَنْ مِنَ الناس إذا صلى تغير فكره ونهته صلاته عن الفحشاء والمنكر؟! اللهم إلا قليل، لأن المعاني المقصودة مفقودة.[1]



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٢٥٣ .

فائدة

الموفق حقيقة من يستطيع أن يجعل أوقاته وحركاته وسكناته جميعها عبادة، فإن أكل نوى بذلك التنعم بكرم الله وبفضل الله، والله تعالى يحب من عبده إذا أنعم عليه نعمة أن يرى أثر نعمته عليه، فينوي بأكله وطعامه وشرابه التقوي على طاعة الله، فصار ذلك عبادةً، وينوي بذلك القيام بواجب نفسه؛ لأن الإنسان يجب عليه أن يراعي نفسه، حتى إنه إذا جاع وخاف الموت وجب عليه أن يأكل وجوبًا، فإن قال: لا يجب، وأنا صابر على الموت، قلنا: بل يجب أن تأكل لتؤدي النفس حقها، فصار أكلك الآن عبادة، وكذا اللباس؛ فإنك تلبس الثوب تستر عورتك ولتتنعم به بالوقاية من البرد أو الحر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [سورة النحل: آية ٨١] إلى آخره. المهم: والله إنه تفوت علينا أشياء كثيرة، تضيع علينا، وكله بسبب الغفلة عن النية، وإلا فلو استحضرنا النية لكانت كل حركاتنا وسكناتنا عبادة نثاب عليها.[١]

***

(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٤٤١.

فائدة

قال بعض أهل العلم: عبـادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات.

عبادات أهـل الغفلة عادات مثاله: من يقـوم ويتوضأ ويصلي ويذهب على العادة.

وعــادات أهل اليقظة عبادات مثاله: من يأكل امتثالاً لأمر الله، يريد إبقاء نفسه، ويريد التكفف عن الناس، فيكون ذلك عبادة.

ورجـل آخـر لبس ثوبـًا جديـداً يريد أن يترفّـع بثيابه، فهذا لا يؤجر، وآخر لبس ثوبـًا جديداً يريد أن يعرف الناس قدر نعمة الله عليه وأنه غني، فهذا يؤجر.

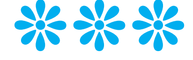
ورجل آخر لبس يوم الجمعة أحسـن ثيابه لأنه يوم جمعة هذه عـادة، والثاني لبس أحسـن ثيابه تأسـيًا بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فهذه عبادة.(١)



(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ١٣.

فائدة

تعلم العلم الشرعي فرض كفاية، ومن أراد أن يقوم بعبادة من العبادات كان تعلم أحكامها فرض عين، وبناء على هذا نقول: كل طلبة العلم في كل مكان قائمون بفرض كفاية، ولهذا يحسن بهم أن يستحضروا هذا الأمر، وأننا في مجالسنا هذه نقوم بفرض كفاية نثاب عليه ثواب الفرض، وقد قال الله تعالى: (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه) وهذه مسألة يغفل عنها كثير من الطلبة، لا في مجالس الذكر والعلم ولا في المجالس الأخرى مجالس المراجعة، تجد الإنسان يراجع الكتاب لكنه لا يستحضر أنه الآن قائم بفرض كفاية، وهذا يفوت خيراً كثيراً، ولهذا نسأل الله أن يعيننا على تذكر هذا المعنى حتى نكسب خيراً بما نقرأه أو نراجعه.[١]



(١) انظر تفسير سورة يس ص ٢٤ .

فائدة

إذا نويت بطلبك للعلم امتثال أمر الله، صارت كل حركة تتحركها في هذا المجال عبادة، إن راجعت الدرس فعبادة، وإن حفظت فعبادة، وإن مشيت فعبادة، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة». وهذه مسألة تغيب عنا كثيراً: كثيراً ما نراجع الكتب لتحقيق مسألة ما، ولكن يغيب عنا أننا الآن في عبادة نرجو بها ثواب الله؛ لكن إذا استحضر طالب العلم أنه يمتثل أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بطلب العلم، صار طلبه للعلم عبادة.(١)



(١) انظر تفسير سورة غافر ص ١٠ .

فائدة

الموظف يؤدي وظيفته أحيانًا يؤديها من أجل الراتب. وأحيانًا يؤديهـا من أجل القيـام بالعمل الذي به صـلاح الناس فعلى الأول يكون عادة لا عبادة، لكن على الثاني يكون عبادة ولا يفوته الراتب.

انظر كيف أن النية تجعل العادة عبادة، وربما يحول الإنسـان عبادتـه إلى عادة مع الغفلة كما لو كان يذهب يصلي لأنه اعتاد أن يتوضأ ويذهب ويصلي لكن ما يشعر حينئذ أنه يذهب امتثالاً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ واتباعـًا لرسـوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحينئذ يفوتـه خير كثير ولهذا قيـل: «أهل اليقظة عاداتهم عبادات، وأهل الغفلة عباداتهم عادات» كل ذلك من أجل النية.[(١)]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ٣٣١.





فائدة

استشعر وأنت تقول: «الله أكبر» أي: أنَّ الله تعالى أكبر مِن كلِّ شيء في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه، وكلُّ ما تحتمله هذه الكلمة مِن معنى. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزمر: آية ٦٧] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية ١٠٤] ومن هذه عظمته فهو أكبر مِن كل شيء. وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الجاثية: آية ٣٧]. فكلُّ معنى لهذه الكلمة مِن معاني الكبرياء فهو ثابتٌ لله عَزَّوَجَلَّ.(١)

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ٢٢ .

فائدة

تصور أن الله عَزَّوَجَلَّ يناجيك وأنت في صلاتك، يسمعك من فوق سبع سموات ويرد عليك، إذا قلت: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي، وإذا قلت: الرحمن الرحيم. قال: أثنى علي عبدي، وإذا قلت: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي. والتمجيد: التعظيم. ونقرأ الفاتحة على أنها ركن لا تصح الصلاة إلا بها، لكننا لا نشعر بهذه المعاني العظيمة، لا نشعر أننا نناجي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى. من يشعر بهذا يجد لذة عظيمة للصلاة، ويجد أن قلبه استنار بها، وأنه خرج منها بقلب غير القلب الذي دخل فيها به.[١]



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٨٥.

فائدة

المهم أننا نشعر في قولنا: «سُبحانَ رَبِّيَ الأعلى» أنَّ اللهَ عَلِيٌّ في ذاته، وعَلِيٌّ في صفاته، بل هو أعلى مِنْ كلِّ شيء، والله تعالى وَصَفَ نفسَه أحيانًا بالأعلى، وأحيانًا بالعليِّ، لأن الوصفين ثابتان له: العلو، وكونه أعلى، كما أنه يوصف بأنه الكبير وأنه الأكبر، وبالعليم وبالأعلم. وصيغة التفضيل في هذه الأشياء على بابها، وليست بمعنى اسم الفاعل كما يدَّعيه بعض العلماء.[١]

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٢٥ .





فائدة

من أركان الصلاة: الركوع، وهو الانحناء تعظيماً لله عَزَّوَجَلَّ، لأنك تستحضر أنك واقف بين يدي الله، فتنحني تعظيماً له عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (أما الركوع فعظموا فيه الرب عَزَّوَجَلَّ)، أي: قولوا سبحان ربي العظيم، لأن الركوع تعظيم بالفعل، وقول: (سبحان ربي العظيم) تعظيم بالقول، فيجتمع التعظيمان بالإضافة إلى التعظيم الأصلي وهو تعظيم القلب لله، لأنك لا تنحني هكذا إلا لله تعظيماً له، فيجتمع في الركوع ثلاثة تعظيمات:

١) تعظيم القلب.

٢) تعظيم الجوارح.

٣) تعظيم اللسان.

فالقلب: تستشعر أنك ركعت تعظيماً لله، واللسان: تقول سبحان ربي العظيم، والجوارح: تحني ظهرك.(١)

❋❋❋

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٩٢ .

فائدة

ينبغي للإنسـان إذا كان يصلي وقال: سبحان ربي العظيم. أن يسـتحضر أمر الله في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ٧٤﴾ [سورة الواقعـة: آيـة ٧٤] وأمـر الرسـول ﷺ في قولـه: «اجعلوها في ركوعكم» حتـى يجمع بين الإخلاص لله، والمتابعة لرسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.(١)

❋❋❋

(١) انظر تفسير سورة الواقعة ص ٣٤٦ .

﴿ فائدة ﴾

إذا قلنا في دعاء القنوت: «اللهم اهدنا فيمن هديت» فإننا نسأل الهدايتين، هداية العلم وهداية العمل، كما أن قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: ٦]، يشمل الهدايتين هداية العلم، وهداية العمل، فينبغي للقارئ أن يستحضر أنه يسأل الهدايتين: هداية العلم وهداية العمل.

وقوله: «فيمن هديت» هذه من باب التوسل بإنعام الله تعالى على من هداه، أن ينعم علينا نحن أيضًا بالهداية.

ويعني: أننا نسألك الهداية فإن ذلك من مقتضى رحمتك وحكمتك ومن سابق فضلك فإنك قد هديت أناسًا آخرين.(١)



(١) انظر شرح دعاء القنوت.

فائدة

إذا قلنا في دعاء القنوت: «وعافنا فيمن عافيت» أي: عافنا من أمراض القلوب وأمراض الأبدان.

وينبغي لك يا أخي أن تستحضر وأنت تدعو، أن الله يعافيك من أمراض البدن، وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلب أعظم من أمراض البدن ولذلك نقول في دعاء القنوت: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا».

أمراض الأبدان معروفة لكن أمراض القلوب. تعود إلى شيئين:

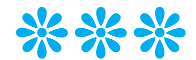
الأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى.

الثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل.

* **فالأول:** أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى، أن يعرف الإنسان الحق، لكن لا يريده؛ لأن له هوًى مخالفًا لما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* **والثاني:** أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل؛ لأن الجاهل يفعل الباطل يظنه حقًّا وهذا مرض خطير جدًّا.

فأنت تسأل الله المعافاة والعافية من أمراض الأبدان، ومن أمراض القلوب، التي هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.[1]



(١) انظر شرح دعاء القنوت .

فائدة

في قول المصلي: «والطيبات» . الطيبات لها معنيان:

* المعنى الأول: ما يتعلَّق بالله.

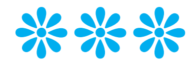
* المعنى الثاني: ما يتعلَّق بأفعال العباد.

فما يتعلَّق بالله فله مِن الأوصاف أطيبها، ومِن الأفعال أطيبها، ومن الأقوال أطيبها، قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله طيب، لا يَقبلُ إلا طيبًا ...» يعني: لا يقول إلا الطيب، ولا يَفعلُ إلا الطَّيب، ولا يتَّصفُ إلا بالطيب، فهو طيب في كُلِّ شيء؛ في ذاته وصفاته وأفعالِه.

وله أيضًا مِن أعمال العباد القولية والفعلية الطَّيبُ، فإن الطَّيبَ لا يليقُ به إلا الطَّيب ولا يقدم له إلا الطيب، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [سورة النور: آية ٢٦] فهذه سُنَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ.

فهل أنت أيُّها المصلِّي تستحضر حين تقول «الطيبات لله» هذه المعاني، أو تقولها على أنها ذِكْرٌ وثناء؟

أغلبُ النَّاسِ على الثاني، لا يستحضر عندما يقول: «الطيبات» أن الله طيِّب في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه وأقوالِه، وأنه لا يليقُ به إلا الطَّيب مِن الأقوال والأفعال الصَّادرة مِن الخَلْقِ.(١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٤٨ .

فائدة

آكدُ ما يُتطوَّعُ به من العبادات البَدنية: الجِهَاد. وقيل: العِلْم.

والصَّحيح: أنه يختلـف باختلاف الفاعل؛ وباختلاف الزَّمن، فقد نقول لشَـخصٍ: الأفضلُ في حَقِّك الجِهادُ، والآخرُ: الأفضلُ في حَقِّـكِ العِلْـم، فـإذا كان شُـجاعـًا قويًّا نشـيطـًا؛ وليـس بذاك الذَّكـيِّ؛ فالأفضلُ له الجِهاد؛ لأنه أَليقُ بـه. وإذا كان ذكيًّا حافظـًا قـويَّ الحُجَّـة؛ فالأفضلُ لـه العِلْم، وهـذا باعتبار الفاعـل. وأما باعتبار الزَّمن؛ فإننا إذا كُنَّا في زمن تَفَشَّى فيه الجهلُ والبِدعُ، وكَثُرَ مَـنْ يُفتي بلا عِلم؛ فالعِلـمُ أفضلُ من الجهاد، وإنْ كُنَّا في زمن كَثُرَ فيـه العُلماءُ؛ واحتاجـتِ الثُّغور إلى مرابطيـن يدافعون عن البلاد الإسـلامية؛ فهنا الأفضل الجهاد. فإنْ لم يكن مرجِّحٌ، لا لهذا ولا لهذا؛ فالأفضلُ العِلم.

قـال الإمـام أحمد: العِلـمُ لا يَعْدِلُهُ شـيء لِمَنْ صَحَّـت نيَّتُهُ. قالوا: كيف تصحُّ النيَّةُ؟ قـال: ينوي بتواضع، وينفي عنه الجهل. وهذا صحيح؛ لأنَّ مَبْنَى الشَّرعِ كُلِّه على العِلم، حتى الجهاد مَبْنَاهُ علـى العِلم، ويدلُّ لهذا قولـه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟

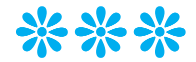
كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [سورة التوبة: آية ١٢٢] فَنَفَى الله أَنْ يَنْفِر المسلمون كلُّهم إلى الجهاد، ولكن يَنْفِرَ طائفةٌ ويبقى طائفةٌ لتتعلَّم؛ حتى إذا رجع قومُهم إليهم أخبروهم بما عندهم من الشَّرع، ولكن يجب في الجهاد وفي العِلم تصحيحُ النِّيَّةِ؛ وإخلاصُها لله عَزَّوَجَلَّ، وهو شرطٌ شديدٌ؛ أعني: إخلاصَ النِّيَّة، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شَرْطُ النِّيَّةِ شَديد؛ لكنه حُبِّبَ إليَّ فجمعتُه.[1]

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ٤/ ٦ .

فائدة

ينبغي للإمام أن يستشعر أنَّه في مقام الرَّسولِ ﷺ في إمامةِ الجماعة فيتأسَّى به فيما ينبغي أن يكون عليه في الإمامة، ويستشعرُ المأمومون أنهم في مقام أصحابِ الرَّسولِ عليه الصلاة والسلام، فلا يتخلَّفُون عن الجماعة إلا لعذر ولا يفرِّطون في متابعة الإمام، ولا شَكَّ أنّ ارتباطَ آخِرِ الأمةِ بأوّلِها يعطي الأمةَ الإسلاميَّةَ دُفعةً قويةً إلى اتباع السَّلفِ واتباع هديهم، وليتنا كُلَّما فعلنا فِعْلاً مشروعًا نستشعرُ أننا نقتدي برسولِ الله ﷺ وبأصحابِهِ الكرام، فإنَّ الإنسانَ لا شَكَّ سيجِدُ دُفعةً قويةً في قلبِهِ تجعلُه ينضمُّ إلى سِلْكِ السَّلفِ الصَّالحِ، فيكون سلفيًّا عقيدةً وعملاً، وسُلوكًا ومنهجًا.(١)



---

(١) انظر الشرح الممتع ٤/ ١٣٧ .

فائدة

نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولاً عن زيارة القبور؛ لأن الناس حديثو عهد بالكفر والشرك، فخاف أن يكون ذلك وسيلة للإشراك، ولما استقر الإيمان في القلوب أذن لهم. فقال لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»، ثم بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحكمة من ذلك فقال: «فإنها تذكركم الآخرة»، أي: تذكركم بلسان الحال لا بلسان المقال؛ لأن الإنسان إذا جاء إلى القبور، وتذكر أن فلاناً الذي في القبر الآن كان بالأمس معه، يأكل كما يأكل، ويشرب كما يشرب، ويتمتع بمتع الدنيا كما يتمتع، ويستطيع أن يعمل العمل الصالح كما يستطيع هو الآن، إذا تذكر ذلك فلا بد أن يؤثر على قلبه، وأن يستعد لهذا اليوم الذي آل إليه صاحبه بالأمس، فيتذكر أن مآله إلى هذا القبر، وأنه ربما يكون فيه عن قرب، فيتذكر، ويتعظ ويمتثل، ولهذا ينبغي للزائر أن يستشعر هذا المعنى، لا أن يستشعر مجرد الدعاء لهم؛ لأن هذا المعنى هو الذي علل به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمر بالزيارة فقال: «فإنها تذكركم الآخرة».[١]

---

(١) انظر الشرح الممتع ٥/ ٣٧٩ .

فائدة

ينبغي للإنسان أن يستحضر أنه في مجيئه إلى مكة وإحرامه أنه إنما يفعل ذلك تلبية لدعاء الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحج: آية ٢٧] فالأذان بأمر الله يعتبر أذانًا من الله فإذا كان الله هو الذي أذن فأنا أجيبه وأقول: لبيك اللهم لبيك .... .. الخ.[١]

❋❋❋

(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٩٢.

فائدة

في قول المحرم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك» «لبيك» الثانية من باب التوكيد اللفظي المعنوي، هو لفظي؛ لأنه لم يتغير عن لفظ الأول، لكن له معنى جديد فيكرر ويؤكد أنه مجيب لربه مقيم على طاعته: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، لأنك تجيب الله عَزَّوَجَلَّ وكلّما أجبته ازددت إيمانًا به وشوقًا إليه، فكان التكرير مقتضى الحكمة، ولهذا ينبغي لك أن تستشعر وأنت تقول: «لبيك» نداء الله عَزَّوَجَلَّ لك، وإجابتك إياه، لا مجرد كلمات تقال.[1]



(١) انظر الشرح الممتع ٧/ ١٠٦.

فائدة

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما والذي حج المحبون بيته
ولبوا له عند المهل وأحرموا

وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعًا
لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم

قوله: (وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعًا) أي كشفوا رؤوسهم في الإحرام تواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أمر معروف إلى الآن أن الإنسان يكشف رأسه من باب التواضع وتعظيم مَن كشف رأسه من أجله ...

وقوله: (لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم) يعني من تعنوا له وهو الله عَزَّوَجَلَّ أي تذل له كما قال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [سورة طه: آية ١١١] وهذا معنى لا يكاد أحد من المحرمين يشعر به أنه يكشف الرأس تواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ، ولولا أن المرأة عورة لكان من تعظيم شعائر الله أن تكشف رأسها لكن هي عورة فصار في حق الرجل دون المرأة.(١)

(١) انظر التعليق على ميمية ابن القيم ص ٢٥ .

فائدة

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وراحوا إلى جمع فباتوا بمشعر الـ

حرام وصلوا الفجر ثم تقدموا

إلى الجمرة الكبرى يريدون رميها

لوقت صلاة العيد ثم تيمموا

منازلهم للنحر يبغون فضله

وإحياء نسك من أبيهم يعظم

فلو كان يرضى الله نحر نفوسهم

لدانوا به طوعًا وللأمر سلموا

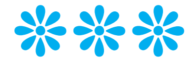
كما بذلوا عند الجهاد نحورهم

لأعدائه حتى جرى منهم الدم

ولكنهم دانوا بوضع رؤوسهم

وذلك ذل للعبيد وميسم

يعنـي: هؤلاء نَزَلوا شـعور رؤوسـهم تعظيمـًا لله، فإن حلق الـرأس لا شـك أنه تعظيم، بـل إن العسـكر الآن إذا مـر بهم من يعظمونـه خلعوا ما فوق رؤوسـهم مـن القلنسـوات تعظيمًا له، فهذا تعظيم لله، ولو رضي الله منهم أن يحلقوا نفوسهم لحلقوها، يعني لذبحوا أنفسـهم، انظر إلـى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما أمره الله تعالـى بذبـح ابنه ماذا صنـع؟ امتثل، مع أنه ليس له ابن سـواه وقـد جاءه على كبر، ولكنه امتثالاً لأمر الله استسـلم إلا أن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أدركته، فأوحى الله تعالى إليه أن يفديه بذبح عظيم وآتاه أجره كاملاً..(١)



---

(١) انظر التعليق على ميمية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٣٤ .

فائدة

الرمل مشــروع في الأشــواط الثلاثة الأولى فقط، دون الأربعة الباقية، وســبب مشروعية هذا الرمل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم مكــة في عمرة القضية قال المشــركون بعضهم لبعــض: إنه يقدم عليكــم قوم وهنتهم حمى يثرب . يعني أتعبتهم حمى المدينة، ثم جلس بعضهم إلى بعض؛ لينظروا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كيف يطوفون؟ فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند ذلك أن يرملوا في الأشواط الثلاثة ...

وهذا في عمرة القضية إظهاراً لقوتهم ونشاطهم؛ ولهذا قال بعض المشــركين لبعض: إنكم تقولــون: إن محمــداً وأصحابه وهنتهم حمى يثرب، وإنهم ليثبون وثب الغزلان . يعني: إنهم نشيطون ...

إذن ينبغي لنا ونحن نرمل أن نتذكر أن الســبب من هذا الرمل إغاظة المشــركين؛ لأن إغاظة أعداء الله من شرع الله، قال تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [سورة الفتح: آية ٢٩] فإغاظة الكفار من المراد المحبوب لله عَزَّوَجَلَّ، وينبغي أن يكون محبوبًا لنا.(١)

---

(١) انظر الدروس الفقهية ٢/ ٢١٢ .

فائدة

في حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فلما دنا من الصفا» يعني قرب منه. (قرأ) ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به» وفائدة هذه القراءة إشعار نفسه بأنه إنما اتجه إلى السعي امتثالاً لما أرشد الله إليه في قوله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وليعلم الناس أنهم إنما يسعون بين الصفا والمروة من أجل أنهما من شعائر الله، وليعلم الناس أيضاً أنه ينبغي للإنسان إذا فعل عبادة أن يشعر نفسه أنه يفعلها طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ كما لو توضأ الإنسان فينبغي أن يستشعر عند وضوئه أن يتوضأ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]. ويشعر أيضاً أنه يتوضأ كأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمامه يتبعه في وضوئه وهكذا جميع العبادات فإذا استشعر الإنسان عند فعل العبادة أنه يفعلها امتثالاً لأمر الله فإنه يجد لها لذةً وأثراً طيباً[1].

❊❊❊

(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٥

فائدة

في حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فقرأ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: آية ١٢٥]» قرأ ذلك في حال نفوذه إشارة إلى أنه إنما فعل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وهذا أمر مطلوب منا عندما نفعل العبادات أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالاً لأمر الله تعالى لأن شعور الإنسان عندما يفعل العبادة بأنه يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فإن هذا مما يزيد في إيمانه ويجد لها لذة وهذه هي نية المعمول له. بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل عن هذا المعنى فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون على النيات إن النية نوعان نية العمل ونية المعمول له والأخيرة أعظم مقاماً من الأولى لأن نية العمل تأتي ضرورة فما من إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده حتى قال بعض العلماء رحمهم الله لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف مالا يطاق. لكن المقام الأسنى والأعلى نية المعمول له التي تغيب عنا كثيراً.(١)

(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٢ .

فائدة

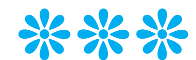
ينبغي لك وأنت تسعى أن تستشعر بأنك في ضرورة إلى رحمة الله عَزَّوَجَلَّ كما كانت أم إسماعيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ضرورة إلى رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فكأنك تستغيث به تَبَارَكَ وَتَعَالَى من آثار الذنوب وأوصابها.[(١)]

❋❋❋

(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ١٠١ .

فائدة

ينبغي الإسـراع في بطن محسر، وهو الوادي الذي بين مزدلفة ومنى؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرع فيه. والأصل فيما فعله في هذه العبادة أنه من التعبد وليس من العادة حتى يتبين أنه عادة. والظاهر أنه لا يمكن الإسـراع الآن؛ لأن الإنسـان محبوس بالسيارات فلا يمكن أن يتقدم أو يتأخر وربما ينحبس في نفس المكان فيعجز أن يمشي ولكن نقول: هذا شيء بغير اختيار الإنسان فينوي بقلبه أنه لو تيسـر له أن يسـرع لأسرع وإذا علم الله من نيته هذا فإنه قد يثيبه على ما فاته من الأجر والثواب.(١)



(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ١٢٨

فائدة

أمر نغفل عنه كثيراً، فكثير من الناس في معاشرته لزوجته بالمعروف، قصده أن تدوم العشرة بينهما على الوجه الأكمل، ويغيب عن ذهنه أن يفعل ذلك تقربًا إلى الله تعالى، وهذا كثيراً ما ينساه، ينسيه إياه الشياطين، وعلى هذا فينبغي أن تنوي بهذا أنك قائم بأمر الله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء: آية ١٩] وإذا نويت ذلك حصل لك الأمر الثاني، وهو دوام العشرة الطيبة، والمعاملة الطيبة، وكذلك بالنسبة للزوجة.

وكذا كل ما أمر به الشرع ينبغي للإنسان عند فعله أن ينوي امتثال الأمر ليكون عبادة، ففي الوضوء ـ مثلاً ـ إذا أردنا أن نتوضأ نقصد أن هذا شرط من شروط الصلاة، لا بد من القيام به، ونستحضر أننا نقوم بأمر الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: آية ٦] قد نذكره أحيانًا، ولكننا ننساه كثيراً، وهل عندما نفعل هذا نشعر بأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه أمامنا، وأننا نقتدي به فنكون بذلك متبعين؟ هذا قد نفعله أحيانًا، ولكنه يفوتنا كثيراً، فينبغي للإنسان أن يكون حازمًا لا تفوته الأمور والأجور بمثل هذه الغفلة.[١]

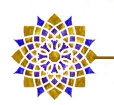
(١) انظر الشرح الممتع ١٢/ ٣٨٣.

فائدة

يجب على الإنسان أن يخلص النية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جميع عباداته، وأن لا ينوي بعبادته إلا وجه الله والدار الآخرة. وهذا هو الذي أمر الله به في قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة: آية ٥]، أي مخلصين له العمل، ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة: آية ٥] وينبغي أن يستحضر النية، أي: نية الإخلاص في جميع العبادات. فينوى مثلاً الوضوء، وأنه توضأ لله، وأنه توضأ امتثالاً لأمر الله. فهذه ثلاثة أشياء: نية العبادة. ونية أن تكون لله. ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله. فهذا أكمل شيء في النية.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٤ .

فائدة

اشــترط النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ للشــهادة أن يكون الإنســان يقاتل في ســبيل الله، والقتال في ســبيل الله؛ أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليــا. فيجب على طلبة العلم أن يبينوا للنــاس أن القتال للوطن ليــس قتــالاً صحيحًا، وإنمــا يقاتل لتكــون كلمة الله هــي العليا، وأقاتل عن وطني؛ لأنه وطن إســلامي، فأحميه من أعدائه وأعداء الإسلام؛ فبهذه النية تكون النية صحيحة، والله الموفق.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٥.

فائدة

الإنسـان إذا نوى العمل الصالح، ولكنه حبسه عنه حابس فإنه يكتب له أجر مـا نوى. أما إذا كان يعمله في حال عدم العذر؛ أي: لمـا كان قـادراً كان يعمله، ثـم عجز عنه فيما بعـد؛ فإنه يكتب له أجر العمل كاملاً، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا».

فالمتمنـي للخيـر، الحريص عليه؛ إن كان مـن عادته أنه كان يعمله، ولكنه حبسه عنه حابس، كتب له أجره كاملاً.

فمثلاً: إذا كان الإنسـان مـن عادته أن يصلي مـع الجماعة في المسـجد، ولكنه حبسـه حابس، كنوم أو مرض، أو ما أشبهه فإنه يكتب له أجر المصلي مع الجماعة تماماً من غير نقص.

وكذلـك إذا كان من عادته أن يصلـي تطوعـًا، ولكنه منعه منه مانـع، ولم يتمكن منه؛ فإنه يكتب له أجره كاملاً، وكذلك إن كان مـن عادتـه أن يصوم من كل شـهر ثلاثة أيام، ثـم عجز عن ذلك، ومنعه مانع، فإنه يكتب له الأجر كاملاً. وغيره من الأمثلة الكثيرة.

أما إذا كان ليس من عادته أن يفعله؛ فإنه يكتب له أجر النية فقط، دون أجر العمل. ودليل ذلك: أن فقراء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالوا: يا رسول الله سبقنا أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم - يعني: أن أهل الأموال سبقوهم بالصدقة والعتق- فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد إلا من عمل مثل ما عملتم!! فقال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين» ففعلوا، فعلم الأغنياء بذلك؛ ففعلوا مثلما فعلوا، فجاء الفقراء إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا؛ ففعلوا مثله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» والله ذو الفضل العظيم. ولم يقل لهم: إنكم أدركتم أجر عملهم، ولكن لا شك أن لهم أجر نية العمل.

ولهذا ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيمن آتاه الله مالاً؛ فجعل ينفقه في سبل الخير، وكان رجل فقير يقول: لو أن لي مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فهو بنيته، فأجرهما سواء». أي سواء في أجر النية، أما العمل فإنه لا يكتب له أجره إلا إن كان من عادته أن يعمله.[١]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٦.

فائدة

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة، ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه) متفق عليه، قوله: (فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة) سواء أقرب مكانه من المسجد أم بعد، كل خطوة يحصل بها فائدتان:

الفائدة الأولى: أن الله يرفعه بها درجة.

والفائدة الثانية: أن الله يحط عنه بها خطيئة، وهذا فضل عظيم.

حتى يدخل المسجد؛ فإذا دخل المسجد فصلى ما كتب له، ثم جلس ينتظر الصلاة؛ (فإنه في صلاة ما انتظر الصلاة)؛ وهذه أيضًا

نعمة عظيمة؛ لو بقيت منتظراً للصلاة مدة طويلة، وأنت جالس لا تصلي - بعد أن صليت تحية المسجد، وما شاء الله - فإنه يحسب لك أجر الصلاة. وهناك أيضًا شيء رابع: أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، تقول (اللهم صل عليه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه) وهذا أيضًا فضل عظيم لمن حضر بهذه النية وبهذه الأفعال.

والشاهد من هذا الحديث قوله: (ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة) فإنه يدل على اعتبار النية في حصول هذا الأجر العظيم. أما لو خرج من بيته لا يريد الصلاة، فإنه لا يكتب له هذا الأجر؛ مثل أن يخرج من بيته إلى دكانه؛ ولما أذن ذهب يصلي؛ فإنه لا يحصل على هذا الأجر؛ لأن الأجر إنما يحصل لمن خرج من البيت لا يخرجه إلا الصلاة. لكن ربما يكتب له الأجر من حين أن ينطلق من دكانه، أو من مكان بيعه وشرائه إلى أن يصل إلى المسجد؛ ما دام انطلق من هذا المكان وهو على طهارة. والله الموفق.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٧٣ .

فائدة

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه) متفق عليه، هذا الحديث: فيه دليل على أن الإنسان يكفر عنه بما يصيبه من الهم والنصب والغم وغير ذلك، وهذا من نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يبتلي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبده بالمصائب وتكون تكفيراً لسيئاته وحطًا لذنوبه.

والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسروراً دائمًا، بل هو يومًا يسر ويومًا يحزن، ويومًا يأتيه شيء ويومًا لا يأتيه، فهو مصاب بمصائب في نفسه ومصائب في بدنه. ومصائب في مجتمعه ومصائب في أهله، ولا تحصى المصائب التي تصيب الإنسان، ولكن المؤمن أمره كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خير له.

فإذا أصبت بالمصيبة فلا تظن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيك ولو كان شوكة، لا تظن أنه يذهب سدى، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها، وهذا من نعمة الله.





وإذا زاد الإنسان على ذلك الصبر والاحتساب، يعني: احتساب الأجر، كان له مع هذا أجر. **فالمصائب تكون على وجهين:**

١ - تارة إذا أصيب الإنسان تذكر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب؛ وزيادة الحسنات.

٢ - وتارة يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويصيبه ضجر أو ما أشبه ذلك، ويغفل عن نية احتساب الأجر والثواب على الله، فيكون في ذلك تكفير لسيئاته، إذاً هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه. فإما أن يربح تكفير السيئات وحط الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينو شيئا ولم يصبر ولم يحتسب الأجر.

وإما أن يربح شيئين: تكفير السيئات، وحصول الثواب من الله عَزَّوَجَلَّ كما تقدم. ولهذا ينبغي للإنسان إذا أصيب ولو بشوكة، فليتذكر احتساب الأجر من الله على هذه المصيبة، حتى يؤجر عليها، مع تكفيرها للذنوب. وهذا من نعمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وجوده وكرمه، حيث يبتلي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى أو يكفر عنه سيئاته.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٢٤٤ .

فائدة

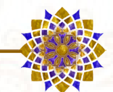
قصة غريبة رواها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه بينا رجل يمشي في الطريق مسافراً، أصابه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، وانتهى عطشه، فلما خرج، وإذا بكلب يأكل الثرى من العطش، يعني: يأكل الطين المبتل الرطب، يأكله من العطش، من أجل أن يمص ما فيه من الماء، من شدة عطشه، فقال الرجل: والله لقد أصاب الكلب من العطش ما أصابني، أو بلغ بهذا الكلب من العطش ما بلغ بي، ثم نزل البئر وملأ خفه ماء. الخف: ما يلبس على الرجل من جلود ونحوها، فملأه ماء فأمسكه بفيه، وجعل يصعد بيديه، حتى صعد من البئر، فسقى الكلب، فلما سقى الكلب شكر الله له ذلك العمل، وغفر له، وأدخله الجنة بسببه. وهذا مصداق قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)، عمل يسير شكر الله به عامل هذا العمل، وغفر له الذنوب، وأدخله الجنة.

ولما حدث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الصحابة بهذا الحديث،** وكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أشد الناس حرصًا على العلم، لا من أجل أن يعلموا

فقط، ولكن من أجل أن يعلموا فيعملوا. سألوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟ قال: (في كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجر)؛ لأن هذا كلب من البهائم، فكيف يكون لهذا الرجل الذي سقاه هذا الأجر العظيم؟ هل لنا في البهائم من أجر؟ قال: (في كل ذات كبد رطبة أجر) الكبد الرطبة تحتاج إلى الماء؛ لأنه لولا الماء ليبست وهلك الحيوان.

إذن نأخذ من هذه قاعدة، وهي أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا قص علينا قصة من بني إسرائيل فذلك من أجل أن نعتبر بها، وأن نأخذ منها عبرة، وهذا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[سورة يوسف: آية ١١١].

وفي رواية أخرى، ولعلها قصة أخرى، أن امرأة بغيًا من بغايا بني إسرائيل، يعني أنها تمارس الزنا - والعياذ بالله - رأت كلبًا يطوف بركية، يعني يدور عليها عطشان، لكن لا يمكن أن يصل إلى الماء؛ لأنها ركية بئر، فنزعت موقها - يعني الخف الذي تلبسه - واستقت له به من هذا البئر، فغفر الله لها.





فدل هذا على أن البهائم فيها أجر. كل بهيمة أحسنت لها بسقي، أو إطعام، أو وقاية من حر، أو وقاية من برد، سواء كانت لك أو لغيرك من بني آدم، أو كانت من السوائب، فإن لك في ذلك أجراً عند الله عَزَّوَجَلَّ هذا وهن بهائم؛ فكيف بالآدميين؟ إذا أحسنت إلى الآدميين كان أشد وأكثر أجراً. ولهذا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (من سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم)، يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك: أريد ماء، وأسقيته وهو ظمآن، فقد سقيت مسلمًا على ظمأ، فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم.

أجر كثير، ولله الحمد، غنائم ولكن أين القابل لهذه الغنائم؟
أين الذي يخلص النية، ويحتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ؟

فأوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائمًا على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً!.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧١ .

فائدة

الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة معنوية وطهارة حسية، فالطهارة المعنوية، وهي التي ينبغي أن يقصدها المسلم، فهي تطهيره من الذنوب، فإذا غسل وجهه، خرجت كل خطايا نظر إليها بعينيه، وذكر العين - والله أعلم - إنما هو على سبيل التمثيل، وإلا فالأنف قد يخطئ، والفم قد يخطئ؛ فقد يتكلم الإنسان بكلام حرام، وقد يشم أشياء ليس له حق أن يشمها، ولكن ذكر العين؛ لأن أكثر ما يكون الخطأ في النظر. فلذلك إذا غسل الإنسان وجهه بالوضوء خرجت خطايا عينيه، فإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه، فإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه، حتى يكون نقياً من الذنوب. ولهذا قال الله تعالى حين ذكر الوضوء والغسل والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾، يعني ظاهراً وباطناً، حساً ومعنى، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦﴾ [سورة المائدة: آية ٦]، فينبغي للإنسان إذا توضأ أن يستشعر هذا المعنى، أي أن وضوءه يكون تكفيراً لخطيئاته، حتى يكون بهذا الوضوء محتسباً الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ والله الموفق.(١)

---

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٨٢ .

فائدة

لا شك أن للنية أثراً كبيراً في صحة الأعمال، وأثراً كبيراً في ثوابها، وكم من شخصين يصليان جميعًا بعضهما إلى جنب بعض، ومع ذلك يكون بينهما في الثواب مثل ما بين السماء والأرض، وذلك بصلاح النية وحسن العمل، فكلما كان الإنسان أصدق إخلاصًا لله وأقوى اتباعًا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أكثر أجراً، وأعظم أجراً عند الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

❋❋❋

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٢٠٠ .

فائدة

ينبغـي للآمر بالمعروف والناهي عـن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شـرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسـه، فإنـه إذا نوى هذه النية لم ينـزل الله البركة في أمره ولا نهيه؛ بل يكون كالطبيب يريد معالجة الناس ودفع البلاء عنهـم، فينوى بأمره ونهيـه أولاً: إقامة شـرع الله، وثانيـًا: إصلاح عبـاد الله، حتى يكون مصلحـًا وصالحـًا، نسـأل الله أن يجعلنا من الهُداة المهتدين المصلحين إنه جواد كريم.[١]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٤٠٨ .

فائدة

كان كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فصلاً** يعني مفصلاً، لا يدخل الحروف بعضها على بعض، ولا الكلمات بعضها على بعض، حتى لو شاء العاد أن يحصيه لأحصاه من شدة تأنيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكلام، وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يكون كلامه متداخلا بحيث يخفى على السامع؛ لأن المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب، وكلما كان أقرب إلى الإفهام كان أولى وأحسن. ثم إنه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة؛ يعني إذا جعل كلامه فصلاً بينًا واضحًا وكرره ثلاث مرات لمن لم يفهم، ينبغي أن يستشعر في أنه متبع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم، وهكذا جميع السنن اجعل على بالك أنك متبع فيها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتحقق لك الإتباع وثوابه.[(١)]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٦٦ .

فائدة

ورد في الحديث أن «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره» وعلى هذا فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذا الحديث وأمثاله يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ يعني: أن يستحضر وهو يتوضأ أنه يتقرب إلى الله، كما أنه إذا صلى يستشعر بأنه يتقرب إلى الله كذلك وهو يتوضأ، ويستشعر بأنه يمتثل أمر الله في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [سورة المائدة: آية ٦] ويستشعر أيضًا بأنه متبع لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في وضوئه، وكذلك أيضًا يستحضر أنه يريد الثواب وأنه يثاب على هذا العمل حتى يتقنه ويحسنه والله الموفق.(١)

❋❋❋

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ١١ .

فائدة

للوضوء فضائل منها: حديث عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه توضأ: فغسل كفيه ثلاثًا، وتمضمض، واستنشق ثلاثًا، بثلاث غرفات، وغسل وجهه ثلاثًا، وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثًا، ومسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، ومسح أذنيه، وغسل رجليه ثلاثًا إلى الكعبين. قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث بهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه) وهذا شيء يسير - ولله الحمد - أن الإنسان يعمل هذا العمل ثم يغفر ما تقدم من ذنبه. وأخذ العلماء من ذلك أنه يستحب لمن أسبغ الوضوء أن يصلي ركعتين، وتسمى سنة الوضوء، سواء في الصباح أو في المساء، في الليل أو النهار، بعد الفجر أو بعد العصر؛ لأنها سنة لها سبب، فإذا توضأ الإنسان نحو وضوء الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فإنه يصلي ركعتين ليغفر له ما تقدم من ذنبه. وفي هذا الحديث قال: (وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة) يعني: زائداً على مغفرة الذنوب، وليس معنى نافلة يعني صلاة تطوع، قد تكون صلاة فريضة، ولكن نافلة: يعني شيئًا زائداً على مغفرة الذنوب؛ لأن ذنوبه غفرت بوضوئه، وصلاته الأولى، فيكون مشيه

للمسـجد وصلاته ولو فريضة نافلة أي زيادة على مغفرة الذنوب؛ لأن النفـل في اللغة معنـاه الزيادة، كما قـال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٩].

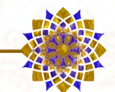
ومن فضائل الوضوء: حديث أبي هريرة في أن الوضوء تخرج به الخطايا، إذا غسـلت وجهك خرجـت خطايا وجهك مع الماء أو مـع آخر قطر المـاء، (أو) هنا للشـك من الـراوي، وعلى كل حال فإن الإنسـان إذا غسـل وجهـه خرجت خطايـا وجهه، وإذا غسـل يديه خرجت خطايا يديه التي كان قد بطش بها، وإذا غسل رجليـه خرجت خطايا رجليه حتى يخرج نقيًا من الذنوب - ولله الحمد - فهذا دليل على فضيلة الوضوء. ولكن مَنْ منا يستحضر هذا الفضل؟! فهل يكتب هذا الفضل للإنسـان سواءاً استحضره أم لا؟ الظاهر - إن شـاء الله - أنه يكتب له سـواء استحضر أو لم يسـتحضر، لكن إذا اسـتحضر فهو أكمل؛ لأنه إذا استحضر هذا احتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ وأيقن أنه سيجازى ويكافأ على هذا العمل جزاءً وفاقًا بخلاف مـا إذا توضأ وهو غافل، ولكننا نرجو مـن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يكتب هذا الأجر حتى من الإنسـان الغافل الذي يتوضأ على سبيل إبراء ذمته، والله الموفق.(١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ١٤.

فائدة

ينبغي للإنسان أن يأتي إلى المسجد ماشيًا ويرجع ماشيًا هذا هو الأفضل، ودليل ذلك قصة الأنصاري الذي كان بعيد الدار فقيل له: "لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء والرمضاء" فقال: لا أشتري، أنا أحتسب على الله خطاي ذاهبًا وراجعًا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قد كتب الله لك ذلك كله" فدل ذلك على أن المجيء إلى المسجد على قدميه أفضل من المجيء على مركوبه؛ لأنه يحسب له أجر الخطا، ولكن إذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وخطوة السيارة دورة لعجلتها، إذا دار عجلها دورة واحدة فهذه تعتبر خطوة؛ لأنه عند دورانه يرتفع الذي باشر الأرض ثم يدور حتى يرجع ثانية إلى الأرض فهو كرفع القدم من الأرض ثم وضعها مرة ثانية فإذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وهذا أيضًا من فضائل المشي إلى المساجد: أن الله تعالى يكتب للإنسان الخطوات كلما ذهب وكلما رجع.(١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٦٢.





فائدة

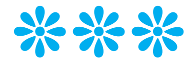
السلام: بمعنى الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: السلام عليك فهذا يعني أنك تدعو له بأن الله يسلمه من كل آفة: يسلمه من المرض، يسلمه من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار، فهو لفظ عام . **معناه**: الدعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل آفة.

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من محبتهم لله عَزَّ وَجَلَّ كانوا يقولون في صلاتهم: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان، فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولوا: السلام على الله من عباده، وقال: "إن الله هو السلام" يعني: السالم من كل عيب ونقص جَلَّ وَعَلَا فلا حاجة أن تثني عليه بالدعاء بأن يسلم نفسه. ثم قال لهم: قولوا: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض" ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؟!".

لا أدري هل نحن نستحضر أننا نسلم على أنفسنا، السلام علينا، وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض، يعني نسلم على الأنبياء، نسلم على الصحابة، نسلم على التابعين لهم بإحسان، نسلم على أصحاب الأنبياء ؛ كالحواريين أصحاب عيسى، والذين اختارهم موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سبعين رجلاً، وغير ذلك؟!

هل نحن نستحضر أننا نسلم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة ؟! لا أدري هل نحن نستحضر هذا أم لا؟

إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك. لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض".[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٨١ .

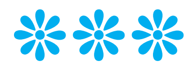
فائدة

الذي يطلب العلوم الشرعية في الجامعة من أجل أن ينال الشهادة

نقول: ما الذي تريده: هل أنت تريد أن تنال الشهادة من أجل أن تكون في المرتبة الفلانية وراتبك كذا وكذا، إذا قال: نعم، أنا أريد هذا نقول: خبت وخسرت، ما دمت تريد الدنيا . أما إذا قال: لا، أنا أريد أن أنفع الخلق؛ لأنه الآن لا يمكن الوصول إلى نفع الخلق بالتدريس إلا بالشهادات وأنا أريد أن أصل إلى هذا، كما أنه لا ينال الإنسان وظيفة كبيرة يكون قائداً فيها على جماعة من المسلمين إلا بالشهادة وأنا أريد هذا، قلنا؛ الحمد لله، هذه نية طيبة وليس عليك شيء، والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

المهم: أن تحذر أخي طالب العلم من النيات السيئة، فالعلم الشرعي أعز وأرفع وأعلى من أن تريد به عرضًا زائلاً من الدنيا، ولو بقيت عندك الدنيا فلابد إما أن تفارقها أو تفارقك، إما أن تفتقر وتعدم المال وإما أن تموت ويذهب المال لغيرك.

لكـن أمور الآخرة باقيـة، فلماذا تجعل العلم الشـرعي الذي هو من أجل العبادات وأفضل العبادات سلمـًا لتنال به عرضـًا من الدنيـا؟ إن هـذا سـفه في العقل وضلال في الديـن، لا بد أن تجعل العلم الشرعي لله عَزَّوَجَلَّ ولحماية شريعته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ورفع الجهل عن نفسـك وعن إخوانك المسلمين وللدلالة على الهدى ولتنال ميـراث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن العلماء ورثة الأنبياء، نسـأل الله أن يخلص لنا ولكم النية ويصلح العمل، إنه على كل شيء قدير.[(١)]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٤٥١ .

فائدة

الإحسان إلى عباد الله: أن تعاملهم بما هو أحسن؛ في الكلام، والأفعال، والبذل، وكف الأذى، وغير ذلك، حتى في القول؛ فإنك تعاملهم بالأحسن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [سورة النساء: آية ٨٦]، يعني: إن لم تفعلوا فتردوا بأحسن منها، فلا أقل من أن تردوها؛ ولهذا قال كثير من العلماء: إذا قال المسلم: السلام عليكم ورحمة الله، قل: وعليكم السلام ورحمة الله. هذا أدنى شيء، فإن زدت: (وبركاته) فهو أفضل؛ لأن الله قال: بأحسن منها، فبدأ بالأحسن ثم قال: ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ كذلك إذا سلم عليك إنسان بصوت واضح بين؛ ترد عليه بصوت واضح بين على الأقل، كثير من الناس ـ أو بعض الناس ـ إذا سلمت عليه رد عليك السلام بأنفه، حتى إنك تكاد لا تسمعه في رد السلام، وهذا غلط؛ لأن هذا خلاف ما سلم عليك به، يسلم عليك بصوت واضح ثم ترد بأنفك!! هذا خلاف ما أمر الله به.

كذلك الإحسان بالفعل؛ مثل معونة الناس ومساعدتهم في أمورهم. فإذا ساعدت إنسانًا فقد أحسنت إليه، مساعدة بالمال، بالصدقة بالهدية، بالهبة وما أشبه ذلك هذا من الإحسان.

ومن الإحسان أيضًا: أنك إذا رأيت أخاك على ذنب؛ أن تبين له ذلك وتنهاه عنه؛ لأن هذا من أعظم الإحسان إليه، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا) قالوا: يا رسول الله، هذا المظلوم فكيف ننصر الظالم؟ قال: (أن تمنعه من الظلم) فإن منعك إياه من الظلم نصر له وإحسان إليه، والمهم أنه ينبغي لك ـ في معاملة الناس ـ أن تستحضر هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٣﴾ [سورة المائدة: آية ٩٣] فتحسن إليهم بقدر ما تستطيع.[1]

❋❋❋

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٣.

فائدة

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة السجدة: آية ٢٤]، لما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصية الله، وصبروا على أقدار الله؛ صبروا على طاعة الله ففعلوا ما أمر، وصبروا عن معصية الله فتركوا ما نهى عنه، وصبروا على أقدار الله التي تأتيهم من أجل دعوتهم إلى الحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ لأن الإنسان إذا نصب نفسه داعية للحق آمراً بالمعروف وناهيًا عن المنكر، فلابد أن يصيبه من الأذى ما يصيبه، لأن أكثر الذين يكرهون الحق سوف يكونون أعداء له فليصبر، وكذلك أقدار الله التي تأتي بدون هذا أيضًا يصبرون عليها.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يوقنون بما أخبر الله به، ويوقنون بالجزاء الذي يحصل لهم في فعل الأوامر، وترك النواهي، وفي الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أنهم

يعملــون وهم يوقنون بالجزاء، وهذه نقطــة ينبغي لنا أن ننتبه لها، أن نعمــل ونحن نوقن بالجزاء، كثيــر من الناس يعملون، يصلون ويصومــون ويتصدقون بناء على أن هذا أمــر الله، وهذا طيب ولا شــك أنه خير، لكن ينبغي أن تدرك وأن تستحضر بأنك إنما تفعل هذا رجاء الثواب وخوف العقاب، حتى تكون موقنًا بالآخرة.

وقد أخذ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الآية عبارة طيبة، فقال: (بالصبــر واليقين تنــال الإمامة في الدين) أخذها مــن قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [سورة السجدة: آية ٢٤]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

أســأل الله أن يجعلنــي وإياكم أئمة في ديــن الله، هداة لعباد الله مهتدين، إنه جواد كريم.[1]

❁❁❁

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٣٤٠.

﴿ فائدة ﴾

كان النبـي ﷺ يعلـم الرجـل إذا أسـلم كيف يصلي ويأمره بهـذا الدعاء: "اللهم اغفر لـي وارحمني واهدني وعافني وارزقني" خمـس كلمات يعلمها النبـي ﷺ الرجل إذا أسلم .

(اللهـم اغفر لي) يعني اغفـر لي الذنوب، والكافر إذا أسـلم غفـر الله له ذنوبه كما قـال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [سورة الأنفال: آية ٣٨] ولكـن طلـب المغفـرة مشروع حتى بعد الإسلام من كل مسلم؛ لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب، كما جاء في الحديث: "وخير الخطائين التوابون".

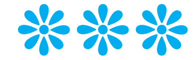
(وارحمني) يعني: أسـبغ علي رحمتك، ففـي طلب المغفرة النجاة من السيئات والآثام والعقوبات، وفي طلب الرحمة حصول المطلوبات؛ لأن الإنسان لا يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب.

(وأهـدني) وقد سـبق لنا بيان معنى "الهدايـة" أنها هداية علم وبيان، وهداية توفيق ورشد .

(وعافني) أي: من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي كما قـال تعالـى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [سـورة البقرة: آيـة ١٠] ومرض جسـمي في أعضاء البدن، وإذا سـألت الله المعافاة فالمـراد من هذا ومن هذا، ومرض القلب أعظم من مرض البدن؛ لأن مـرض البدن إذا صبر الإنسـان واحتسـب الأجر من الله صار رفعة في درجاته وتكفيراً لسيئاته والنهاية فيه الموت، والموت مآل كل حي ولابد منه .

لكـن مرض القلب والعياذ بالله فيه فسـاد الدنيـا والآخرة، إذا مرض القلب بالشـك أو الشرك أو النفاق أو كراهة ما أنزل الله، أو بغض أولياء الله أو ما أشبه ذلك، فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته. ولهـذا ينبغي لك إن سـألت العافية أن تسـتحضر أنك تسـأل الله العافية من مرض القلب ومرض البدن، مرض القلب الذي مداره على شك أو شرك أو شهوة.

"وارزقني" يعني الرزق الذي يقوم به البدن من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك، والرزق الذي يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب، والإنسان إذا قال: "ارزقني" فهو يسأل الله هذا وهذا. والله الموفق[(١)].



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٦/ ٢١ .

فائدة

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢٢] وهذه تستوجب أن أُكْثِرَ التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أُكْثِرَ أن أرجع إلى الله بقلبي وقالبي، ومجرد قول الإنسان: أتوب إلى الله. هذا قد لا ينفع، لكن تستحضر وأنت تقول: «أتوب إلى الله» أن بين يديك معاصي، ترجع إلى الله منها وتتوب؛ حتى تنال بذلك محبة الله.

﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢٢] إذا غسلت ثوبك من النجاسة، تحس بأن الله أحبك؛ لأن الله يحب المتطهرين؛ إذا توضأت؛ تحس بأن الله أحبك؛ لأنك تطهرت؛ إذا اغتسلت تحس أن الله أحبك؛ لأن الله يحب المتطهرين....

والله إننا لغافلون عن هذه المعاني، أكثر ما نستعمل الطهارة من النجاسة أو من الأحداث، لأنها شرط لصحة الصلاة؛ خوفًا من أن تفسد صلاتنا، لكن يغيب عنا كثيرًا أن نشعر بأن هذا قربة وسبب لمحبة الله لنا، لو كنا نستحضر عندما يغسل الإنسان نقطة بول أصابت ثوبه أن ذلك يجلب محبة الله له لحصلنا خيرًا كثيرًا، لكننا في غفلة.[1]

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠٢ .

فائدة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ٣١] هذا أيضًا يستوجب أن نحرص غاية الحرص على اتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بحيث نترسم طريقه، لا نخرج منه، ولا نقصر عنه، ولا نزيد، ولا ننقص.

وشعورنا هذا يحمينا من البدع، ويحمينا من التقصير، ويحمينا من الزيادة والغلو، ولو أننا نشعر بهذه الأمور، فانظر كيف يكون سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا وعباداتنا.(١)



---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠٣.

فائدة

قال شيخ الإسلام ومن الإيمان باليوم الآخر: «الإيمان بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت»: كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر. وذلك لأن الإنسان إذا مات؛ دخل في اليوم الآخر، ولهذا يقال: من مات؛ قامت قيامته؛ فكل ما يكون بعد الموت؛ فإنه من اليوم الآخر.

إذًا؛ ما أقرب اليوم الآخر لنا؛ ليس بيننا وبينه إلا أن يموت الإنسان، ثم يدخل في اليوم الآخر الذي ليس فيه إلا الجزاء على العمل. ولهذا يجب علينا أن ننتبه لهذه النقطة.

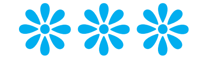
فكر أيها الإنسان؛ تجد أنك على خطر؛ لأن الموت ليس له أجل معلوم عندنا؛ قد يخرج الإنسان من بيته ولا يرجع إليه، وقد يكون الإنسان على كرسي مكتبه ولا يقوم منه، وقد ينام الإنسان على فراشه ولكنه يحمل من فراشه إلى سرير غسله؛ وهذا أمر يستوجب منا أن ننتهز فرصة العمر بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يكون الإنسان دائمًا يستشعر بأنه تائب إلى الله وراجع ومنيب حتى يأتيه الأجل وهو على خير ما يرام.(١)

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٤٧٤ .

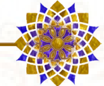
فائدة

هـذه حـال ينبغي أن يتنبه لهـا، وهو أننا كل مـا نقوله وكل ما نفعله نشعر حال قوله أو فعله أننا نتبع فيه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مـع الإخلاص لله، لتكون أقوالنـا وأفعالنا كلها عبادات لله عَزَّوَجَلَّ، ولهـذا يقـال: إن عبـادات الغافلين عـادات، وعـادات المنتبهين عبادات.

فالإنسـان الموفـق يمكـن أن يحول العـادات إلـى عبادات، والإنسـان الغافل يجعل عباداته عـادات. فليحرص المؤمن على أن يجعـل أقوالـه وأفعالـه كلهـا تبعًا لكتاب الله وسـنة رسـوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ينال بذلك الأجر، ويحصل به كمال الإيمان والإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.(١)



(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣ .





فائدة

ينبغي علينا أن نعرف ما معنى العبادة حتى نكون على بصيرة من أمرنا في معرفة كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

العبادة تطلق على معنيين:

* على التعبد، وعلى المتعبد به.

فعلى المعنى الأول يكون معنى العبادة: أن يتذلل الإنسان لربه بامتثال أمره واجتناب نهيه محبة له وتعظيماً. فيكون هذا الوصف عائداً للإنسان العابد.

أما على المعنى الثاني أن العبادة تطلق على معنى المتعبد به فقد حدها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف من أحسن ما يكون من التعاريف فقال: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

فالصلاة إذاً عبادة، والزكاة عبادة والصوم عبادة، والحج عبادة لا يريد الله عَزَّوَجَلَّ منا بهذه العبادات أن يتعبنا فقط ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [سورة النساء: آية ١٤٧] ما يريد الله عَزَّوَجَلَّ

أن يحرجنا في هذه العبادات ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: آية ٧٨] وإنما أراد بهذه العبادات أراد بها أن نصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وحينئذ نعرف أن هذه العبادات ليست تكليفًا وإشقاقًا علينا.

وإنما هي لمصلحتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة. ولا يمكن أن تستقيم الدنيا إلا بالعبادة ولست أريد بالعبادة مجرد الحقوق الخاصة بالله عَزَّوَجَلَّ حتى معاملتك مع الناس يمكن أن تتحول إلى عبادة. كيف ذلك إذا عاملتهم بمقتضى أمر الله من النصح والبيان امتثالاً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ صارت المعاملة عبادة حتى لو تبيع سلعة على إنسان وتبين ما فيها من عيوب وتصدق فيما تصفها من الصفات المطلوبة صرت الآن متعبدا لله لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».(١)

❊❊❊

(١) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ٣٣١.

فائدة

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فِيِّ امرأتك» . لماذا مثل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما يجعله الإنسان وقال: «في فيّ امرأتك» ما قال حتى ما تجعله في في أبيك، في في أمك، بل قال «في فيّ امرأتك» لأن المرأة إذا لم ينفق عليها زوجها طالبت بالفراق وإذا طالبت بالفراق وفارقته بقي بلا زوج إذًا فإنفاقه على زوجته كأنما يجر به إلى نفسه نفعًا. ومع ذلك قال له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنك إذا أنفقت نفقة تبتغي بها وجه الله» حصل لك بها الأجر حتى في هذه النفقة التي يكون معاوضة لأن الإنفاق على الزوجة عوض عن الاستمتاع بها ونيل الشهوة منها. ولهذا إذا نشزت الزوجة، فإن نفقتها تسقط.

الحاصل أن النية لها تأثير عظيم في العبادة ولهذا نقول: إن العبادة لا تكون عبادة إلا بشرطين أساسين، أحدهما: الإخلاص لله، والثاني: المتابعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ٣٣٢ .

فائدة

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الإسراء: آية ١٣-١٤].

قال بعض السلف: لقد أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك. والكتابة في صحائف الأعمال: إما للحسنات، وإما للسيئات، والذي يكتب من الحسنات ما عمله الإنسان، وما نواه، وما هم به؛ فهذه ثلاثة أشياء:

فأما ما عمله؛ فظاهر أنه يكتب.

وأما ما نواه؛ فإنه يكتب له، لكن يكتب له أجر النية فقط كاملاً؛ كما في الحديث الصحيح في قصة «الرجل الذي كان له مال ينفقه في سبيل الخير، فقال الرجل الفقير: لو أن عندي مالاً؛ لعملت فيه بعمل فلان؛ قال النبي ﷺ: «فهو بنيته؛ فأجرهما سواء»». ويدل على أنهما ليسا سواء في الأجر من حيث العمل: «أن فقراء المهاجرين لما أتوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله! إن أهل الدثور سبقونا. فقال لهم ﷺ: «تسبحون وتحمدون

وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين». فلما سمع الأغنياء بذلك؛ فعلوا مثله، فرجع الفقراء يشكون إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال لهم: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، ولم يقل: إنكم بنيتكم أدركتم عملهم. ولأن هذا هو العدل؛ فرجل لم يعمل لا يكون كالذي عمل، لكن يكون مثله في أجر النية فقط.

وأما الهم؛ فينقسم إلى قسمين:

■ **القسم الأول:**

أن يهم بالشيء ويفعل ما يقدر عليه منه، ثم يحال بينه وبين إكماله. فهذا يكتب له الأجر كاملاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النساء: آية ١٠٠].

وهذه بشرى لطلبة العلم: إذا نوى الإنسان أنه يطلب العلم وهو يريد أن ينفع الناس بعلمه ويذب عن سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينشر دين الله في الأرض، ثم لم يقدر له ذلك؛ بأن مات مثلاً، وهو في طلبه؛ فإنه يكتب له أجر ما نواه وسعى إليه.

بل إن الإنسان إذا كان من عادته العمل، وحيل بينه وبينه لسبب؛ فإنه يكتب له أجره، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إذا مرض العبد أو سافر؛ كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا».

■ **القسم الثاني:**

أن يهم بالشيء ويتركه مع القدرة عليه؛ فيكتب له به حسنة كاملة؛ لنيته.

وأما السيئات؛ فإنه يكتب على الإنسان ما عمله، ويكتب عليه ما أراده وسعى فيه ولكن عجز عنه، ويكتب عليه ما نواه وتمناه.

فالأول: واضح.

والثاني: يكتب عليه كاملاً؛ لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟! قال: «لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه»، ومثله من هم أن يشرب الخمر، ولكن حصل له مانع؛ فهذا يكتب عليه الوزر كاملاً؛ لأنه سعى فيه.

والثالث: الذي نواه وتمناه يكتب عليه، لكن بالنية، ومنه الحديث الذي أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن رجل أعطاه الله مالاً؛

فكان يتخبط فيه، فقال رجل فقير: لو أن لي مالاً؛ لعملت فيه بعمل فلان. قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فهو بنيته؛ فوزرهما سواء». ولو هم بالسيئة، ولكن تركها؛ فهذا على ثلاثة أقسام:

١. إن تركها عجزًا؛ فهو كالعامل إذا سعى فيها.

٢. وإن تركها لله؛ كان مأجوراً.

٣. وإن تركها لأن نفسه عزفت عنها، أو لم تطرأ على باله؛ فهذا لا إثم عليه ولا أجر.

والله عَزَّوَجَلَّ يجزي بالحسنات أكثر من العمل، ولا يجزي بالسيئات إلا مثل العمل؛ قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [سورة الأنعام: آية ١٦٠]، وهذا من كرمه عَزَّوَجَلَّ ومن كون رحمته سبقت غضبه.(١)

❊❊❊

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨/ ٥٠٦

﴿ فائدة ﴾

في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) هذه هي نيّة المعمول له، والناس يتفاوتون فيها تفاوتًا عظيمًا، حيث تجد رجلين يصلّيان بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب أو مما بين السماء والأرض في الثواب، لأن أحدهما مخلص والثاني غير مخلص.

وتجد شخصين يطلبان العلم في التّوحيد، أو الفقه، أو التّفسير، أو الحديث، أحدهما بعيد من الجنّة والثاني قريب منها، وهما يقرآن في كتاب واحد وعلى مدرّسٍ واحد. فهذا رجل طلب دراسة الفقه من أجل أن يكون قاضيًا والقاضي له راتبٌ رفيعٌ ومرتبةٌ رفيعة، والثاني درس الفقه من أجل أن يكون عالمًا معلّمًا لأمة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبينهما فرق عظيم. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ عِلْمًا وَهُوَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لا يُرِيْدُ إِلاَّ أَنْ يَنَالَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ».[1]

❊❊❊

(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ١٥.

فائدة

العمـل يتفاضل أيضـًا بالإخـلاص، فلدينا ثلاثة رجال: رجل نوى بالعمل امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ والتقرب إليه، وآخر نوى بالعمل أنه يؤدي واجبـًا، وقد يكون كالعادة، والثالث نوى شيئـًا من الرياء أو شـيئـًا من الدنيا. فالأكمل فيهم: الأول، ولهذا ينبغي لنا ونحن نقوم بالعبادة أن نستحضر أمر الله بها، ثم نستحضر متابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، حتى يتحقق لنا الإخلاص والمتابعة.[1]

❊❊❊

(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٤٠٦.

فائدة

لابــد مع الدعاء من رجــاء، وأما القلب الغافــل اللاهي الذي يذكر الدعاء على وجه العادة فليس حريّاً بالإجابة، بخلاف الذكر كالتسبيح والتهليل وما أشبه ذلك، فهذا يُعطى أجراً به، ولكنه أقل مما لو اســتحضر وذكر بقلبه ولســانه. والفرق ظاهر، لأن الداعي محتاج فلابد أن يستحضر في قلبه ما احتاج إليه، وأنه مفتقر إلى الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

❊❊❊

(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٤٣٢ .





فائدة

التوكل نصف الدين، ولهذا نقول في صلاتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة: آية ٥]، فنطلب من الله العون اعتماداً عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته. وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود: آية ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [سورة هود: آية ٨٨]، ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز، ولم يتمكن من القيام بالعبادة، فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله، فينال بذلك أجر العبادة وأجر التوكل، ولكن الغالب عندنا ضعف التوكل، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أو العادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا الفعل، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة وننسى ما وراء ذلك؛ فيفوتنا ثواب عظيم، وهو ثواب التوكل، كما أننا لا نوفق إلى حصول المقصود كما هو الغالب، سواء حصل لنا عوارض توجب انقطاعها أو عوارض توجب نقصها.(١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦٧.

فائدة

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ [سورة الإسراء: آية ١٠٩]. فالبكاء عند قراءة القرآن، وعند السجود، وعند الدعاء من صفات الصالحين، والإنسان يحمد عليه، والأصوات التي تسمع أحيانًا من بعض الناس هي بغير اختيارهم فيما يظهر، بل هو شيء يجده في نفسه ويقع بغير اختياره، وقد قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إن الإنسان إذا بكى من خشية الله فإن صلاته لا تبطل ولو بان من ذلك حرفان فأكثر، لأن هذا أمر لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيه، ولا يمكن أن نقول للناس لا تخشعوا في الصلاة ولا تبكوا، بل نقول إن البكاء الذي يأتي بتأثر القلب مما سمع أو مما استحضره إذا سجد؛ لأن الإنسان إذا سجد يستحضر أنه أقرب ما يكون إلى ربه عَزَّوَجَلَّ، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». والقلب إذا استحضر هذا وهو ساجد لاشك أنه يخشع ويحصل البكاء.[١]

❊❊❊

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣٢.

فائدة

من خصائص يوم الجمعة: أن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه.

واختلف العلماء في تعيين هذه الساعة على أكثر من أربعين قولاً، لكن أقرب الأقوال فيها قولان:

الأول: أنها ما بين أن يخرج الإمام إلى الناس للصلاة حتى انقضاء الصلاة. فإن هذا أرجى الأوقات موافقة لساعة الإجابة، لما رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي ساعة يجتمع المسلمون فيها على فريضة من فرائض الله ويدعون الله فيها، فهي أقرب ما تكون موافقة لساعة الإجابة، ولهذا ينبغي أن يحرص الإنسان في هذه الساعة على الدعاء، ولاسيما في الصلاة، ومحل الدعاء في الصلاة إما في السجود، وإما في الجلسة بين السجدتين، وإما بعد التشهد فينبغي للإنسان أن يحرص على الدعاء في صلاة الجمعة، وأن يستشعر أن هذا من أرجى أوقات يوم الجمعة إجابة.

القول الثاني: أنها بعد العصر ، والإنســان بعد العصر قد يكون قائمــًا يصلي، كمــا لو دخل المســجد قبل غروب الشــمس فإنه يصلــي ركعتين لعموم قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إذا دخل أحدكم المســجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين" وقد سبق أن قلنا : كل صلاة لها سبب فليس عنها نهي.[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٣ .

فائدة

في ختام شهر رمضان شرع الله لعباده أن يكبروه، فقال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥] تكبروا الله، أي: تعظموه بقلوبكم وألسنتكم، ويكون ذلك بلفظ التكبير. فتقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. أو تكبر ثلاثًا، فتقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. كل هذا جائز سواء أتيت بالتكبير شفعًا، أو أتيت وتراً.

وينبغي للإنسان عند التكبير أن يستشعر أنه يكبر الله بقلبه ولسانه، وأنه بنعمة الله عليه وهدايته إياه صار في المحل الأعلى الأرفع ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥] فجعل الله التكبير فوق الهداية، أي أن ذلك التكبير كان نتيجة لهداية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتوفيقه لصيام رمضان وقيامه، وهذا التكبير سنة عند جمهور أهل العلم.(١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٦٩.

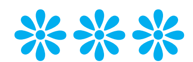
فائدة

إذا كنت صادقًا في محبة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأرجو أن تكون صادقًا - فعليك بإتباعه واتباع سنته وهديه، كن وأنت تتوضأ كأنما تشعر بأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضأ أمامك، وكذلك في الصلاة وغيرها حتى تحقق المتابعة ولست أقول (أمامك) أنه عندك في البيت هذا لا أقوله، لكن المعنى من شدة اتباعك له كأنه أمامك يتوضأ، ولهذا أوجه الآن إلى نقطة مهمة، نحن نتوضأ للصلاة - والحمد لله - عندما نتوضأ أكثر الأحيان وأكثر الناس لا يشعرون، إلا أنهم يؤدون شرطًا من شروط الصلاة لكن ينبغي أن يلاحظ.

أولاً: أن نشعر بأننا نمتثل أمر الله عَزَّوَجَلَّ حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [سورة المائدة: آية ٦].

ثانيًا: أن نشعر باتباع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأننا توضأنا نحو وضوئه.

ثالثـًا: أن نحتسب الأجر؛ لأن هذا الوضوء يكفر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به كل خطيئة حصلت من هذه الأعضاء، الوجه إذا غسله آخر قطره يكفر بها عن الإنسان، وكذلك بقية الأعضاء، هذه ثلاثة أمور غالبًا لا نشعر بها إنما نعمل كأننا أدينا شرطًا من شروط الصلاة، فأسأل الله أن يعينني وإخواني المسلمين على ذلك حتى تكون العبادة طاعة لله تعالى واتباعًا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحتسابًا لثواب الله.(١)



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٤ .

فائدة

المؤمن لا يصاب بأي شيء إلا كفّر الله به عنه، لا يلحقه هم ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها عنه من الخطايا، وهـذه نعمة، كل منا يرجو أن يخفف الله من سـيئاته، ونسـأل الله أن يمحو عنا وعنكم السـيئات. وهـذه المصائب التي ليس لنا بها حيلة، يُكفِّر الله بها السـيئات، وهي إذا احتسب الإنسان بها الأجر عنـد الله صارت رفعة في الدرجات، فالإنسـان إذا أصيب بمصيبة يكتسب بها شيئين:

الأول: أنها مكّفرة للذنوب.

الثاني: أنه إذا احتسـب الأجر على الله بها، صارت سبباً لرفعة الدرجات، وزيادة الحسنات.[١]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٥/ ٥٥٧ .

فائدة

العلم يرفع الله به من يشاء من خلقه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [سورة المجادلة: آية ١١]. ولهذا نجد أن أهل العلم محل الثناء، كلما ذكروا أثنى الناس عليهم، وهذا رفع لهم في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما عملوا.

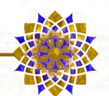
إن العابد حقًا هو الذي يعبد ربه على بصيرة، ويتبين له الحق وهذه سبيل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٨] فالإنسان الذي يتطهر وهو يعلم أنه على طريق شرعي هل هو كالذي يتطهر من أجل أنه رأى أباه أو أمه يتطهر؟ أيهما أبلغ في تحقيق العبادة رجل يتطهر؛ لأنه علم أن الله أمر بالطهارة، وأنها هي طهارة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، يتطهر امتثالاً لأمر الله واتباعًا لسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أم رجل آخر يتطهر؛ لأن هذا المعتاد عنده؟

فالجواب: بلا شك أن الأول هو الذي يعبد الله على بصيرة فهل يستوي هذا وذاك؟ وإن كان فعل كل منهما واحدًا، لكن هذا عن علم وبصيرة يرجو الله عَزَّوَجَلَّ ويحذر الآخرة، ويشعر بأنه متبع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقف عند هذه النقطة وأسال:

هل نستشعر عند الوضوء بأننا نمتثل لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]؟

هل الإنسان عند وضوئه يستحضر هذه الآية وأنه يتوضأ امتثالاً لأمر الله؟ هل يستشعر أن هذا وضوء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وأنه يتوضأ اتباعًا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الجواب: نعم الحقيقة أن منا من يستحضر ذلك، ولهذا يجب عند فعل العبادات أن نكون ممتثلين لأمر الله بها حتى يتحقق لنا بذلك الإخلاص، وأن نكون متبعين لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نحن نعلم أن من شروط الوضوء النية، لكن النية قد يراد بها نية العمل، وهذا الذي يبحث في الفقه، وقد يراد بها نية المعمول له، وحينئذ

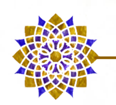



علينـا أن نتنبه لهـذا الأمر العظيم، وهو أن نسـتحضر ونحن نقوم بالعبـادة أننا نتمثل أمر الله بها لتحقيق الإخلاص، وأن نسـتحضر ونحن نقوم بالعبادة أن الرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فعلها ونحن له فيها متبعون لتحقيق المتابعة؛ لأن من شـروط صحة العمل الإخلاص والمتابعة اللذين بهما تتحقق شـهادة أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نعود إلى ما ذكرنا أولاً من فضائل العلم، إذ بالعلم يعبد الإنسان ربه على بصيرة فيتعلق قلبه بالعبادة ويتنور قلبه بها، ويكون فاعلاً لها على أنها عبادة لا على أنها عادة، ولهذا إذا صلَّى الإنسان على هذا النحو فإنه مضمون له ما أخبر الله به من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.(١)



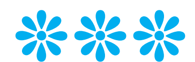
---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦/ ٢٠ .

فائدة

أهم شـيء يعيـن على طلـب العلم النيـة الخالصـة أن ينوي الإنسـان بطلب العلم حفظ شريعة الله عَزَّوَجَلَّ والانتفاع بها بالعمل ونشـرها بين الناس ودعوة الناس إليها؛ فإذا تصور الإنسـان هذه العبادات العظيمة وما يترتب عليها من الثواب فهذا مما يعين على طلب العلم، كذلك مما يعين على طلب العلم أن ييسر الله للطالب زمـلاء يسـاعدونه ويعينونـه، وييسـر الله للجميـع معلمًا يوضح ويبين، فإن التبيين والتوضيح مما ينشـط طالب العلم، ومما يعين على طلب العلم الفراغ ألا يكون الإنسان عنده مشاكل اجتماعية، أو مشـاكل في أهلـه، وأن يكون عنـده ما يقوته هذا من الأسـباب وربما يكون أيضًا هناك أسباب أخرى لكن هذه من الأسباب.[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٢٥ .

فائدة

يجب على طالــب العلم إخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ وأن يعتقد أنه مـا قرأ حرفًا ولا كلمة، ولا أتم صفحة في العلم الشــرعي إلا وهو يقربــه إلى الله عَزَّوَجَلَّ. ولكن كيف يمكــن أن ينوي التقرب إلى الله بطلب العلم؟

الجواب: يمكن ذلك؛ لأن الله أمر به، والله إذا أمر بشيء ففعله الإنسان امتثالاً لأوامر الله، فتلك عبادة الله؛ لأن عبادة الله هي امتثال أمره، واجتناب نهيه، وطلب مرضاته، واتقاء عقوبته.

ومــن إخلاص النيــة في طلب العلم أن ينــوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من الأمة، وعلامة ذلك أن الرجل تجده بعد طلب العلم متأثرًا بما طلب، متغيرًا في سلوكه ومنهاجه، وتجده حريصًا على نفع غيــره، وهذا يدل على أن نيته في طلب العلم رفع الجهل عنه وعــن غيره فيكون قدوة، صالحًا مصلحًــا، وهذا ما كان عليه السلف الصالح، أما ما عليه الخلف اليوم فيختلف كثيرًا عن ذلك، فتجد الأعــداد الكبيرة من الطلاب في الجامعات والمعاهد، منهم مــن نيته لا تنفعه في الدنيا والآخــرة، بل تضره، فهو ينوي أن يصل

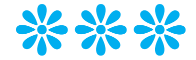
إلى الشــهادة لكـي يتوصل بها إلى الدنيا فقـط، وقد جاء التحذير من الرســول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله عَزَّوَجَلَّ لا يتعلمـه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنـة يـوم القيامة» . أي ريحهـا وهذا خطر عظيم، علم شـرعي تجعله وسيلة إلى عرض الدنيا، هذا قلب للحقائق.

والطالـب إذا أخلـص النية جاءته الدنيا تبعًا ولن يفوته شـيء وسـيخرج هـو ومـن يريـد الشـهادة للدنيا علـى حد سـواء، بل المخلص أكثر تحصيلاً للعلم وأبلغ رسوخًا فيه. وإن مما يؤسف لـه أن بعض الطلاب يسـتأجرون من يعـد لهم بحوثًا أو رسـائل يحصلـون بها على شـهادات علمية، أو من يحقـق بعض الكتب فيقول لشـخص حضر لي تراجم هؤلاء، وراجع البحث الفلاني، ثـم يقدمه رسـالة ينال بها درجة يسـتوجب بهـا أن يكون في عداد المعلميـن أو ما أشـبه ذلك، فهـذا في الحقيقة مخالـف لمقصود الجامعـة ومخالف للواقـع، وأرى أنه نوع مـن الخيانة؛ لأنه لابد أن يكون المقصود من الرسالة هو الدراسة والعلم قبل كل شيء، فإذا كان المقصود من ذلك الشهادة فقط فإنه لو سئل بعد أيام عن الموضوع الذي حصل على الشهادة فيه لم يجب.





لهذا أحذر إخواني الذين يحققون الكتب، أو الذين يحضرون رسائل على هذا النحو من العاقبة الوخيمة، وأقول: إنه لا بأس من الاستعانة بالغير ولكن ليس على وجه أن تكون الرسالة كلها من صنع غيره، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، إنه سميع مجيب.[(١)]



(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٦ / ٢٥٨ .

فائدة

قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [سورة البقرة: آية ٣٠] أي نُنَزِّه؛ والذي يُنَزَّه الله عنه شيئان؛ أولاً: النقص؛ والثاني: النقص في كماله؛ وزد ثالثًا إن شئت: مماثلة المخلوقين؛ كل هذا يُنَزَّه الله عنه؛ النقص: مطلقًا؛ يعني أن كل صفة نقص لا يمكن أن يوصف الله بها أبداً. لا وصفًا دائمًا، ولا خبراً؛ والنقص في كماله: فلا يمكن أن يكون في كماله نقص؛ قدرته: لا يمكن أن يعتريها عجز؛ قوته: لا يمكن أن يعتريها ضعف؛ علمه: لا يمكن أن يعتريه نسيان ... وهلم جراً؛ ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق: آية ٣٨] أي تعب، وإعياء؛ فهو عَزَّوَجَلَّ كامل الصفات لا يمكن أن يعتري كماله نقص؛ ومماثلة المخلوقين: هذه إن شئنا أفردناها بالذكر؛ لأن الله تعالى أفردها بالذكر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى: آية ١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة الروم: آية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل: آية ٧٤]؛ وإن شئنا جعلناها داخلة في القسم الأول. النقص. لأن تمثيل الخالق بالمخلوق يعني النقص؛

بل المفاضلة بين الكامل والناقص تجعل الكامل ناقصًا، كما قال القائل:

ألــم تــر أن الـسـيـف يـنـقـص قـدره
إذا قيــل إن الســيف أمضــى مــن العصا

لو قلت: فلان عنده سيف أمضى من العصا تبين أن السيف هذا رديء، وليس بشيء؛ فربما نفرد هذا القسم الثالث، وربما ندخله في القســم الأول؛ على كل حال التســبيح ينبغي لنــا. عندما نقول: «سبحان الله»، أو: «أسبح الله»، أو ما أشبه ذلك. أن نستحضر هذه المعاني..[1]



(١) انظر تفسير سورة البقرة ١/ ١١٣

فائدة

أنه ينبغي للإنسان إذا تعبد لله أن يستشعر أمر الله؛ لأنه أبلغ في الامتثال، والطاعة؛ وكذلك ينبغي أن يستحضر أنه متأسٍ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما يشاهده رأي عين؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» - فتتم له المتابعة.(١)

❊❊❊

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ١٨١ .

فائدة

من فوائد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٧٠]، أن الإنفاق قليله وكثيره يثاب عليه المرء؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾، وكلمة ﴿نَّفَقَةٍ﴾ نكرة في سياق الشرط؛ فهي تعم؛ وعلى ذلك تشمل القليل، والكثير؛ لكن الثواب عليها مشروط بأمرين: الإخلاص لله؛ وأن تكون على وفق الشرع. ومن فوائد الآية: أنه ينبغي للإنسان إذا أنفق نفقة أن يحتسب الأجر على الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾؛ لأنك إذا أنفقت وأنت تشعر أن الله يعلم هذا الإنفاق فسوف تحتسب الأجر على الله.(١)

❁❁❁

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ٣٥٥ .

فائدة

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الحديد: آية ١٠]

يعني أي شيء يمنعهم، والإنفاق في سبيل الله يشمل كل شيء أمر الله بالإنفاق فيه، ففي سبيل الله هنا عامة، وعليه يدخل في ذلك الإنفاق على النفس، والإنفاق على الزوجة، والإنفاق على الأهل، والإنفاق على الفقراء واليتامى، والإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فكل ما أمر الله تعالى بالإنفاق فيه فهو داخل في هذه الآية حتى إنفاقك على نفسك صدقة، وإنفاقك على زوجك صدقة، ولكن لاحظ النية، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها» ،فلزم هذا القيد، لابد أن تبتغي بها وجه الله إلا أجرت، أي: أثبت عليها.[1]

❊❊❊

(١) انظر تفسير سورة الحديد ص ٣٨٠ .

فائدة

قال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [سورة الشرح: آية ٤] رفع ذكر الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا أحد يشك فيه:

أولاً: لأنه يرفع ذكره عند كل صلاة في أعلى مكان وذلك في الأذان: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمد رسول الله.

ثانياً: يرفع ذكره في كل صلاة فرضاً في التشهد، فإن التشهد مفروض، وفيه أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ثالثاً: يرفع ذكره عند كل عبادة، كل عبادة مرفوع فيها ذكر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وذلك لأن كل عبادة لابد فيها من شرطين أساسيين هما: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن المعلوم أن المتابع للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ سوف يستحضر عند العبادة أنه متبع فيها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ فهذا من رفع ذكره.(١)

❊❊❊

(١) انظر تفسير سورة الشرح ص ٢٤٨ .

فائدة

المراد بتسبيح الله عَزَّوَجَلَّ تنزيهه المتضمن لبعده عن كل نقص، والنقص إما أن يكون في أصل الصفة، وإما أن يكون بمقارنتها بغيرها.

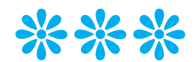
ففي أصل الصفة نقول: هو حي، عليم، قادر، حكيم، عزيز، فكل صفاته ليس فيها نقص، فهو حي حياة لا نقص فيها، سميع سمعًا لا نقص فيه، عليم علمًا لا نقص فيه، فلا نقول مثلاً إن علمه عَزَّوَجَلَّ مسبوق بجهل، أو أنه يلحقه نسيان. والنقص باعتبار مقارنتها بغيرها: بأن ننزهه عن مماثلة المخلوقين؛ لأن تمثيله بالمخلوقين يعتبر نقصًا، فلا نقول مثلاً إن وجه الله عَزَّوَجَلَّ كوجه المخلوق. فصار - بذلك - النقص دائراً بين شيئين:

الأول: نقص الصفة بذاتها فصفاته غير ناقصة.

والثاني: نقصها باعتبار مقارنتها بصفة المخلوق، فإنه لا مقارنة بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فهو منزه عن النقص في صفاته، وعن النقص بمشابهته أو بمماثلته بالمخلوقين.

ونحن نقول في كل صلاة: (سـبحان ربي الأعلى)، فهل نحن حينمـا نقـول: (سـبحان ربي الأعلى) نسـتحضر هـذا المعنى أم نقول: (سبحان ربي الأعلى) باعتبار أنه ذكر وثناء على الله؟

والجـواب: أن الغالب على الناس عمومـًا وخصوصـًا أنهم إذا قالوا: (سـبحان ربـي الأعلى) لا يشـعرون إلا بالثناء على الله والتنزيه المطلق، ولا يستحضرون معنى: اللهم إني أنزهك يا ربي عـن مماثلـة المخلوقين، وعـن كل نقص في صفاتك، فلا يشـعر القائل بهذا المعنى إلا قليلاً.[1]



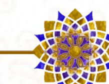
(١) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٤٥ .

فائدة

اعلم أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إذا رضي عن العبد أرضى الناس عنه، وإذا سخط على العبد أسخط الناس عليه، فإذا كنت تريد أن يرضى الناس عنك فاتبع رضا الله، ولكن لا تتبع رضا الله من أجل أن يرضى الناس عنك، فتطلب الأعلى للأدنى، ولكن اجعل رضا الله هو الأصل، وثق بأن الله إذا رضي عنك رضي عنك الناس، ولكن إياك أن تنوي بطلب رضا الله رضا الناس فتكون متوسلاً بالأعلى إلى الأدنى؛ لأنه ربما إذا نويت هذه النية لا يرضى الله عنك، وحينئذ يفوتك مقصودك مع ضعف مقصودك.[١]



(١) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٨٦ .





فائدة

يستطيع الإنسان اكتساب مكارم الأخلاق، وذلك عن طريق الممارسة، والمجاهدة، والتمرين فيكون الإنسان حسن الخلق لأمور منها:

أولاً: أن ينظر في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ينظر النصوص الدالة على مدح ذلك الخلق العظيم الذي يريد أن يتخلق به. فالمؤمن إذا رأى النصوص تمدح شيئًا من الأخلاق أو الأفعال، فإنه سوف يقوم به. والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أشار إلى ذلك في قوله: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك: إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحًا طيبة ونافح الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة».

ثانيًا: أن يصاحب من عرفوا بحسن الأخلاق، والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الأعمال حتى يجعل من هذه الصحبة مدرسة يستعينُ بها على حسن الخلق فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».




ثالثاً: أن يتأمل الإنسان ماذا يترتب على سوء خلقه: فسيئ الخلق ممقوت سيئ الخلق مهجور سيئ الخلق مذكور بالذكر القبيح فإذا علم الإنسان أن سوء الخلق يفضي به إلى هذا فإنه يبتعد عنه.

رابعاً: أن يستحضر الإنسان دائماً صورة خُلُق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف أنه كان يتواضع للخلق، ويحلم عليهم، ويعفو عنهم ويصبر على أذاهم، فإذا استحضر الإنسان أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه خير البشر وأفضل من عبد الله تعالى، هانت على الإنسان نفسه وانكسرت صولة الكبر فيها فكان ذلك داعياً إلى حسن الخلق.[1]



(١) انظر مكارم الأخلاق ص٣٥.

فائدة

الموفق يمكنه أن يجعل ابتغاء الرزق من ذكر الله تعالى، فيجعل بيعه وشراءه وحرثه وصنعته من ذكر الله، وذلك بالنية، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) وأحسبه قال: (وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر) لكن أكثر الناس يغفلون عن هذا الشيء، ولو أن الإنسان انتبه، ولم يكن من الغافلين لحصَل شيئًا كثيراً، فطلب الرزق إذا نويت أنه من السعي على الأرامل والمساكين حصَلت منزلة المجاهد عند الله عَزَّوَجَلَّ، وعائلتك التي لا تستطيع الاكتساب تدخل في المساكين؛ لأنهم لا يقدرون على الاكتساب، فأنت ساعٍ على أرملة ومساكين.[1]

❊❊❊

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٣/ ٧١٧.

فائدة

نصيحتي لطالب العلم من حيث حسن النية أن ينوي بطلب العلم أموراً:

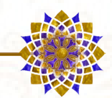
أولاً: امتثال أمر الله؛ لأن الله أمر بالعلم، وأثنى على العلماء فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد: آية ١٩]. وقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [سورة المجادلة: آية ١١].

ثانياً: أن ينوي بذلك حفظ الشريعة شريعة الإسلام؛ لأن الشريعة لا تحفظ إلّا بأصحابها وأهلها.

ثالثاً: أن ينوي بذلك رفع الجهل عن نفسه؛ لأن الإنسان الأصل فيه الجهل، فهو لا يعلم شيئًا حتى يتعلم .

رابعاً: أن ينوي رفع الجهل عن غيره، فينشر علمه بين الناس.

خامساً: أن ينوي بذلك الدفاع عن الشريعة؛ لأن الدفاع عن الشريعة لا يكون إلا بالعلم. فلو جاءك رجل يجادلك بشيء من الأمور، وأنت لا علم عندك، فلن تدري ماذا تقول!






سادسـًا: أن يعمـل بما علـم؛ لأن من عمل بما علـم زاده الله علمـًا، قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [سـورة مريم: آية ٧٦]. هذه الأشياء الستة ينبغي أن تكون على بالك.[١]



(١) انظر فتاوى على الطريق ص ٩٨ .

فائدة

إحسـان الإنسـان إلى أولاده من باب صلة الرحم، وإحسـان الأولاد إلـى آبائهم وأمهاتهم من باب البر، وكثير من الناس يغفل عن مسـألة صلة الرحم في الأولاد، ولهذا ينبغي أن تستحضر هذا، فـإذا أتيت لهم بملابـس أو مآكل أو مشـارب فانو بهـا مع القيام بالواجب أنك واصل للرحم؛ حتى تكون من الواصلين.(١)

❊❊❊

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٤/ ٥٢١ .

فائدة

قولـه بيـن السـجدتين: «رَبِّ اغفرْ لي»: أي: أنك تسـأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يغفرَ لك الذُّنوبَ كلَّها الصغائر والكبائر.

والمغفرة هي: سـتر الذنب والعفو عنه، مأخوذة من المِغْفر الذي يكون على رأس الإنسان عند الحَرْبِ يتَّقي به السهام.

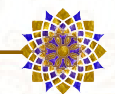
وأمـا «ارحمني»: فهو طلبُ رحمة الله عَزَّوَجَلَّ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، هذا إذا جُمع بينهما.

أما إذا فُرِّقت المغفرة عن الرحمة؛ فإنَّ كُلَّ واحدة منهما تشمَلُ الأخرى.

وأمـا قوله: «ارزقني» فهو طلب الرزق، وهو ما يقوم به البدن، وما يقوم به الدِّين.

يعنـي؛ أنَّ رِزْقَ الله عَزَّوَجَلَّ مـا يقوم به البدن من طعام وشـراب ولباس وسَكَنٍ، وما يقوم به الدِّين من عِلْمٍ وإيمانٍ وعَمَلٍ صالح.

والإنسـان ينبغي له أن يعوِّد نفسَه على استحضار هذه المعاني العظيمة حتى يخرج منتفعـًا.





فإذا قال: «ارزقني» يعني: ارزقني ما به قِوام البدن، وما به قِوام الدِّين.

قوله: «وعافني» أي: أعطني العافية مِن كلِّ مرضٍ ديني أو بدني، ثم إن كان متَّصفًا بهذا المرض؛ فهو دعاء برَفْعِهِ، وإن كان غير متَّصف فهو دعاء بدَفْعِهِ، بحيث لا يتعرَّض له في المستقبل.

فينبغي للإنسان إذا سأل العافية في هذا المكان أو غيره أن يستحضر أن يسأل الله العافية: عافية البدن، وعافية الدِّين.

قوله: «واجبرني» الجَبْرُ يكون من النَّقْصِ، وكلُّ إنسان ناقص مفرِّط مُسِرفٌ على نفسه بتجاوز الحدِّ أو القصور عنه، ويحتاج إلى جَبْرٍ حتى يعود سليمًا بعد كَسْرِهِ؛ لأن الإنسان يحتاج إلى جَبْرٍ يَجبرُ له النَّقْصَ الذي يكون فيه.

فهذه المعاني التي تُذكر في الأدعية ينبغي للإنسان أن يستحضرها. فإن قال قائل: أليس يغني عن ذلك كله أن يقول: «اللَّهُمَّ ارحمني»؟ لأنَّ الرحمة عند الإطلاق: بها حصولُ المحبوب وزوال المكروه؟

فالجواب: بلى، لكن مقام الدُّعاء ينبغي فيه البسط، لكن على حسب ما جاءت به السُّنَّة، وليس البسط بالأدعية المسجوعة التي ليس لها معنى، أو يكون لها معنى غير صحيح.

وإنما كان البسط مشروعاً في الدُّعاء لأسباب:

١. لأنّ الدُّعاء عبادة، وكلما ازددتَ من العبادة ازددتَ خيراً.

٢. أنَّ الدُّعاء مناجاة لله عَزَّوَجَلَّ، وأحبُّ شيء للمؤمن هو الله عَزَّوَجَلَّ، ولا شكَّ أنَّ كثرةَ المناجاة مع الحبيب مما تزيد الحُبَّ.

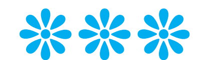
٣. أن يستحضر الإنسانُ ذنوبَه على وجه التفصيل، لأن للذُّنوب أنواعًا، فإذا زِيدَ في الدُّعاء استحضرت، ولهذا كان من دُعاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ اغْفِر لي ذنبي كُلَّهُ، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوَّلَهُ وآخرهُ، وعلانيتَهُ وسِرَّهُ»[١].

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٣٠ . وشرح رياض الصالحين ٦/ ١٩ .

فائدة

النوم إذا قصد به الاستعانة على العبادة كان عبادة، وهكذا كل شيء مباح يقصد به التقوي على الطاعة يكون طاعة؛ ولهذا أخذ أهل العلم من هذه قاعدة فقهية مفيدة جداً، وهي: «الوسائل لها أحكام المقاصد» أي: أن الوسيلة ينظر في القصد منها، فيكون لها حكم ذلك القصد، وهذه القاعدة مأخوذة من القرآن والسنة.(١)



(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٨/ ٥٦٥ .

فائدة

قال بعض الملحدين: إنه يجب أن نقول في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ نقول: هو الله أحد؛ لأن الله قال: ﴿قُلْ﴾، فامتثال الأمر أن تقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وكذلك ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، وهذا من إلحادهم واعتراضهم على القرآن، وعلى ما أجمعت عليه الأمة، وقد أجمعوا على أن من أنكر حرفًا من القرآن فهو كافر، فكيف بمن ينكر جملة؟!

ولكن ما الفائدة أن يقولها الإنسان؟ هل الفائدة مجرد أجر التلاوة فقط؟

الجواب: لا، ولكن الفائدة مع ذلك: أن تشعر بأنك مأمور من الله عَزَّوَجَلَّ أن تقول، ومعلوم أن من يشعر بأنه مأمور ليس كمن يقولها كأنها من عند نفسه، وهذه فائدة عظيمة، ولو كنت تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ لكنت قد تغفل عن كونها أمرا من الله عَزَّوَجَلَّ أن تقولها، وأن يكون هذا مجرد أنك أثنيت على ربك بهذا الثناء، وكذلك: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أن تكون من دعائك الخاص، فإذا قلت: ﴿قُلْ﴾ تشعر بأنك مأمور من قبل الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٩/ ٢٣٢ .

فائدة

قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النساء: آية ٦٩]؛ هذه الآية تفسير لقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٧]؛ ولهذا ينبغي للإنسان إذا قرأ الفاتحة أن يستحضر هؤلاء الأصناف الأربعة المهدِيين الذين هم خِيرَة عباد الله.(١)

❋❋❋

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٩/ ٣٩٣.

فائدة

قد فشا هذا الأمر أعني الهواجيس في الصلاة، ولكن الذي يعين على إزالته هو أن يفتقر العبد إلى ربه، ويسأله دائمًا أن يعينه على إحسان العمل، وأن يستحضر عند دخوله في الصلاة أنه سيقف بين يدي ربه وخالقه الذي يعلم سره ونجواه، ويعلم ما توسوس به نفسه، وأن يعتقد بأنه إذا أقبل على ربه بقلبه أقبل الله عليه، وإن أعرض أعرض الله عنه، وأن يؤمن بأن روح الصلاة ولبها هو الخشوع فيها وحضور القلب، وأن الصلاة بلا خشوع القلب كالجسم بلا روح، وكالقشور بلا لب، ومن الأمور التي تستوجب حضور القلب أن يستحضر معنى ما يقول، وما يفعل في صلاته، وأنه إذا كبر، ورفع يديه، فهو تعظيم لله، وإذا وضع اليمنى على اليسرى، فهو ذل بين يديه، وإذا ركع، فهو تعظيم لله، وإذا سجد، فهو تطامن أمام علو الله، وأنه إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ أجابه الله من فوق عرشه قائلاً: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

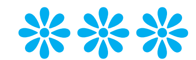
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ قـال الله: هذا بيني وبين عبـدي نصفين، ولعبدي ما سـأل، هكذا يجيبك مولاك من فوق سبع سموات، فاستحضر ذلك، وإنك إذا قلت: سـبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، وإن كنـت تقولها بصوت خفي، فإن الله تعالى يسـمع ذلك، وهو فوق عرشه، فما ظنك إذ آمنت بأن الله تعالى يقبل عليك إذا أقبلت عليه في الصلاة، وإنه يسمع كل قول تقوله، وإن كان خفيـًا، ويرى كل فعل تفعله، وإن كان صغيراً، ويعلم كل ما تفكر فيه، وإن كان يسـيراً، إذا نظـرت إلى موضع سـجودك، فالله يراك، وإن أشـرت بأصبعك عند ذكر الله في التشـهد، فإنه تعالى يرى إشـارتك، فهو تعالـى المحيط بعبده علما وقدرة وتدبيراً وسـمعًا وبصراً، وغير ذلك من معاني ربوبيته.[(١)]

❊❊❊

(١) انظر الضياء اللامع من الخطب الجوامع ١/ ١٣٣

فائدة

بعض الناس ينفق على أهله ما ينفق ولكنه لا يشعر بأنه يتقرب إلى الله بهذا الإنفاق، ولو جاءه مسكين وأعطاه ريالاً واحداً يشعر بأنـه متقرب إلـى الله بهذه الصدقـة، ولكن الصدقـة الواجبة على الأهل أفضل وأكثر أجراً.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٨٩ .

فائدة

كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **يقول**: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، أخذه من وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح: يعني أعمل عمل الجاد الذي يستحضر أن أجله قد حضر؛ ليكون مستعداً غاية الاستعداد، لا تقل: أفعل هذا غداً ربما لا تدرك غداً، وفي الصباح لا تؤخر إلى المساء؛ لأنك ربما لا تدرك المساء، وهذا أمر مشاهد، فالإنسان الحازم هو الذي ينتهز الفرص ويأخذ بالجد.[1]



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٦/ ٣٣٤ .

فائدة

فإن قال قائل: ما الحكمة من رفع اليدين في الصلاة؟

فالجواب على ذلك: أن الحكمة في ذلك الاقتداء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي يسلم به المرء من أن يتجول عقله هنا وهناك ...

فالمؤمن إذا قيل له: هذا حكم الله ورسوله، وظيفته أن يقول: سمعنا وأطعنا. ومع ذلك يمكن أن نتأمل لعلنا نحصل على حكمة من فعل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقول: الحكمة في رفع اليدين تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، فيجتمع في ذلك التعظيم القولي والفعلي والتعبد لله بهما، فإن قولك: «الله أكبر» لا شك أنك لو استحضرت معنى هذا تمامًا لغابت عنك الدنيا كلها؛ لأن الله أكبر من كل شيء، وأنت الآن واقف بين يدي من هو أكبر من كل شيء.[١]

❋❋❋

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ٢٨ .

فائدة

من ورث الأنبياء في علمهم ودعوتهم إلى الله واستقامة حاله فقد أكرمه الله، وكل مسألة يمن الله عليك بعلمها فهي إكرام من الله لك، لأنك زدت على الجهل مرتبة، فيجب على طالب العلم أن يشعر بأن الله تعالى أكرمه بما من عليه بطلب العلم كما أكرم الرسل بالرسالة.[1]

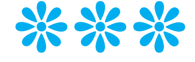
❊❊❊

(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٣٥٧ .

فائدة

من فوائد قوله في الحديث: (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها)، أن الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي وجه الله فإنه يثاب عليها، حتى النفقات على أهله وعلى زوجته، بل وعلى نفسه؛ إذا ابتغى بها وجه الله أثابه الله عليها.

وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يستحضر نية التقرب إلى الله في كل ما ينفق حتى يكون له في ذلك أجر. كل شيء تنفقه صغيراً كان أم كبيراً، على نفسك أو على أهلك أو على أصحابك أو على أي واحد من الناس؛ إذا ابتغيت به وجه الله أثابك الله على ذلك.[1]



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٥٩

فائدة

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في صلاته: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وعلانيته وسره وأوله وآخره» وهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرره الإنسان ازداد عبادة لله عَزَّ وَجَلَّ، ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية وكذلك ما أخفاه وكذلك دقه وجله، وهذه هي الحكمة في أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصل بعد الإجمال فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنها أجمع الدعاء وأنفع الدعاء وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والصلاح.(١)

❊❊❊

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥١٠

فائدة

من فوائد قوله في الحديث: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»: فضيلة الصلاح: فكل صالحٍ يدعو له المسلمون في كل صلاة من أول التشهد إلى يوم القيامة وهو لا يدري، فإذا أوصاك رجل بالدعاء فتقول: أنا أدعو لك في كل صلاةٍ إن كنت صالحًا، لقوله في الحديث: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

ومن فوائد هذا الحديث: أن اللفظ العام يشمل جميع أفراده، دليل ذلك: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض»، مع أن الإنسان حينما يدعو بهذا قد لا يستحضر العموم، لكن نقول: اللفظ موضوع للعموم.(١)

❊❊❊

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ٤٠٢.




فائدة

الغـرض من الصيام ليس ترويض البـدن على تحمل العطش وتحمـل الجوع والمشـقة، ولكـن هو ترويض النفـس على ترك المحبـوب لرضـا المحبـوب والمحبـوب المتـروك هـو الأكل والشـرب والجمـاع هـذه هي شـهوات النفـس. أمـا المحبوب المطلـوب رضـاه فهو الله فلابد أن نسـتحضر هذه النيـة أننا نترك هذه المفطرات طلبًا لرضا الله.[1]



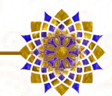
(١) انظر كتاب ٤٨ سؤالًا في الصيام

فائدة

البركة في السحور من عدة أوجه:

الأول: أنه امتثال لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقوله: «تسحروا»، وما أبرك امتثال أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الله – تعالى –: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب: آية ٧١]، وجرب قلبك إذا فعلت الشيء اتباعًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وامتثالاً لأمره تجد لذة في الفعل ونشاطًا عليه، بخلاف ما إذا فعلته أنه عبادة فقط، وأنها مجرد شيء واجب فهذا لا بأس به لكن ليس كالذي يشعر بأنه ممتثل لأمر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: أن فيه مخالفة لأهل الكتاب، وقد أمرنا بمخالفتهم، ففيه فصل بيننا وبين صيام أهل الكتاب، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فصل ما بيننا وبين أهل الكتاب أكلة السحور»، ولا شك أن مخالفة الكفار ـ ولا سيما فيما يقصد به التعبد ـ خير وبركة، و«من تشبه بقوم فهو منهم» فكل شيء يميز المسلم من الكافر، سواء في اللباس، أو في الحلي، أو في أي شيء، فإنه خير وبركة؛ لأنه لا خير



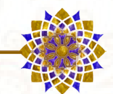
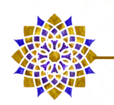


في موافقة المشركين أبدًا أو اليهود والنصارى في أي شيء، أما في العبادات فهذا قد يؤدي إلى الشرك والكفر، وأما في العادات؛ فلأن التشبه بهم في الأمور الظاهرة قد يوصل إلى التشبه في الأمور الباطنة، والغالب أنه ما من شخص يتشبه بإنسان إلا وهو يجد في نفسه إعجابًا به، وأنه أهل لأن يشتبه به ويقتدي به، أو ربما يكون في قلبه محبة له، وهذا شر مما قبله بالنسبة للكافرين .

الثالث: أن فيه تقوية على الصوم، وما أعان على الطاعة يثاب عليه الإنسان، فإن الذي يتسحر يكون أقوى على الصوم من الذي لا يتسحر، وهذا مجرب مشاهد .

الرابع: أن فيه عونًا على طاعة الله؛ لأن الإنسان يأكله ليتقوى به على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وهذا لا شك أنه بركة، فكل شيء يعين على طاعة الله فهو خير وبركة وهذا غير الذي قبله، فالذي قبله تحصل به القوة مباشرة، أما هذا فمعه النية، أي: أنه فعله ليتقوى به على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

فهل نحن عند أكل السحور نشعر بأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه بركة؟ الواقع أنه قليل؛ لأننا ننسى، لكن من حين أن تقدم

على السحور أو يقدم لك استشعر الأمر.

الخامس: أن فيه اقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع امتثال أمره فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتسحر، ولا شك أن الفعل الذي تقتدي فيه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير وبركة، فما أبرك الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السادس: أن فيه حفظًا لقوة النفس وقوة البدن، والإنسان مأمور أن يقوي بدنه ويبتعد عما يضر البدن ولأن النفس كلما نالت حظها من الأكل والشرب استراحت، وكذلك البدن كلما نال حظه من الأكل والشرب نما وبقيت قوته؛ ولهذا يكره للإنسان أو يحرم أن يصلي بحضرة طعام يشتهيه؛ لأن ذلك يوجب تشويش قلبه، وانشغال ذهنه.

السابع: أن البركة حسية ظاهرة، فإن الإنسان إذا كان مفطراً يأكل في اليوم مرتين أو ثلاثًا ويشرب مراراً، وإذا تسحر وصام فلا يأكل ولا مرة واحدة، ولا يشرب ولا مرة واحدة، ولذلك يتعجب الإنسان، يقول: كيف بالأمس شربت ست أو سبع مرات في اليوم، والآن أصبر على الماء؟! وكذلك في الأكل، وهذا من بركته.

فهذه سبعة أوجه كلها يشملها قول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فإن في السحور بركة»، وربما يكون هناك بركات أخرى معنوية غير ظاهرة لنا؛ لأن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما أمر به وعلله بهذه العلة إلا وفيه منافع كثيرة للعباد.[1]



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٧/ ١٢١ .

فائدة

من آداب النوم: أن ينام الإنسان على الشق الأيمن؛ لأن هذا فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمره، فالبراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ روى أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يضطجع على شقه الأيمن، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر البراء بن عازب أن ينام على شقه الأيمن، هذا هو الأفضل، سواء كانت القبلة خلفك أو أمامك أو عن يمينك أو عن شمالك، النوم على الأيمن هو المهم لأمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ به .

بعض الناس اعتاد أن ينام على الجنب الأيسر ولو نام على الأيمن ربما لا يأتيه النوم لكن عليه أن يعود نفسه؛ لأن المسألة ليست بالأمر الهين، ثبتت من فعل الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمره، فأنت إذا نمت على الجنب الأيمن تشعر بأنك متبع للرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ حيث كان ينام على جنبه الأيمن، وممتثل لأمره حيث أمر به عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فعود نفسك وجاهدها على ذلك يومًا أو يومين أو أسبوعًا حتى تستطيع النوم وأنت ممتثل لسنة نبيك صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.[1]

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٣٤

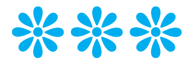
فائدة

يوجد ملائكة حفظة يسمون المعقبات، يعقب بعضها بعضًا:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة الرعد: آية ١١]. فهؤلاء يتعاقبون فينا ليلاً ونهارًا يجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر، ينزل ملائكة النهار في صلاة الفجر، ويغادر ملائكة الليل في صلاة الفجر، وينزل ملائكة الليل في صلاة العصر ويغادر ملائكة النهار في صلاة العصر فانظر اعتناء الله عَزَّوَجَلَّ بنا؛ يسخر الملائكة أن تنزل علينا ونحن نصلي، وأن تغادرنا ونحن نصلي؛ إكرامًا لنا، وإظهاراً لفضلنا في هذه الصلاة.

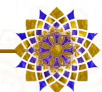
إذاً الملائكة عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ **لهم وظائف متعددة شتى فنؤمن بالملائكة إجمالاً،** ونؤمن بما علمنا من تفاصيل حالهم على وجه التفصيل، ولا يتم إيماننا إلا بذلك، والإنسان يحيط به ملائكة يحفظونه من أمر الله، ويحيط به شياطين يأتونه من كل جانب، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [سورة الأعراف: آية ١٦-١٧].

فاستحضر - يا أخي -أن الملائكة تحفظك من هؤلاء الشياطين؛ لتزداد قوة، وتزول عنك الوحشة، ولا تخضع وتذل وتخف من الشياطين، فما دمت تشعر أن الله قد سخر لك ملائكة؛ معقبات من بين يديك ومن خلفك يحفظونك من أمر الله، فكن قويًا بهذا الحفظ، فبعض الناس تغلبه الشياطين، وينسى الملائكة الذين يحفظونه؛ فتجده في وحشة، وربما يدخله الشيطان من الوحشة، فيقشعر جلده ويفز؛ وحينئذ يكون سببًا لدخول الجني فيه، فإذا شعر الإنسان بأن عنده ملائكة يحفظونه من أمر الله اطمأن؛ وقال: الحمد لله، جنود من جنود الله عَزَّوَجَلَّ، وجنود الرحمن أقوى من الشياطين.[1]



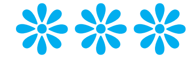
(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ١١/ ٢٨٨ .





فائدة

لا تنس الاستعانة بالله ولو على الشيء اليسير، وفي الحديث: (ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع) يعني حتى الشيء اليسير لا تنس الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ، حتى ولو أردت أن تتوضأ أو تصلي أو تذهب يمينًا أو شمالاً أو تضع شيئًا فاستحضر أنك مستعين بالله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لولا عون الله ما حصل لك هذا الشيء.[1]



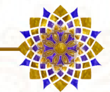
(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ٨٠

فائدة

قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [سورة الأعلى: آية ١] قوله: ﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾ من العلو، وعلو الله عَزَّوَجَلَّ نوعان: علو صفة، وعلو ذات، أما علو الصفة: فإن أكمل الصفات لله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [سورة النحل: آية ٦٠].

وأما علو الذات: فهو أن الله تعالى فوق عباده مستو على عرشه، والإنسان إذا قال: يا الله أين يتجه؟ يتجه إلى السماء إلى فوق، فالله جَلَّوَعَلَا فوق كل شيء مستو على عرشه. إذن ﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾إذا قرأتها فاستشعر بنفسك أن الله عال بصفاته، وعال بذاته، ولهذا كان الإنسان إذا سجد يقول: سبحان ربي الأعلى، يتذكر بسفوله هو، لأنه هو الآن نزل، فأشرف ما في الإنسان وأعلى ما في الإنسان هو وجهه ومع ذلك يجعله في الأرض التي تداس بالأقدام، فكان من الحكمة أن تقول: سبحان ربي الأعلى، يعني أنزه ربي الذي هو فوق كل شيء، لأني نزلت أنا أسفل كل شيء، فتسبح الله الأعلى بصفاته، والأعلى بذاته، وتشعر عندما تقول: سبحان ربي الأعلى، أن ربك تعالى فوق كل شيء، وأنه أكمل كل شيء في الصفات.(١)

(١) انظر تفسير جزء عم ص ١٥٩





فائدة

نصيحة من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأحد طلابه حول منهج يسير عليه:

أولاً: مع الله عَزَّوَجَلَّ:

١. احـرص علـى أن تكون دائمـًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، مسـتحضراً عظمتـه، متفكـراً في آياته الكونيـة مثل: خلق السـماوات والأرض ومـا أودع فيهما من بالـغ حكمته، وباهر قدرته، وعظيم رحمته ومنته. وآياته الشـرعية التي بعث بها رسله ولا سيما خاتمهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. أن يكـون قلبك مملـوءاً بمحبـة الله تعالى لمـا يغذوك به من النعم ويدفع عنك من النقم ولا سـيما نعمة الإسـلام، والاستقامة عليه حتى يكون أحب شيء إليك.

٣. أن يكـون قلبـك مملوءاً بتعظيـم الله عَزَّوَجَلَّ، حتى يكون في نفسك أعظم شيء.

وباجتماع محبة الله تعالى، وتعظيمه في قلبك، تستقيم على

طاعتـه، قائمـًا بما أمر به لمحبتك إياه، تاركـًا لما نهى عنه لتعظيمك له.

٤. أن تكـون مخلصـًا لـه جَلَّ وَعَلَا في عباداتـك متـوكلاً عليـه في جميـع أحوالـك لتحقـق بذلك مقـام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وتسـتحضر بقلبك أنك إنما تقوم بما أمر امتثالاً لأمره، وتترك ما نهى عنه امتثالاً لنهيه، فإنك بذلك تجد للعبادة طعمـًا لا تدركه مـع الغفلة، وتجد في الأمور عونـًا منه لا يحصل لك مع الاعتماد على نفسك.

ثانيًا: مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١. أن تقدم محبته على محبة كل مخلوق، وهديه وسنته على كل هدي وسنة.

٢. أن تتخذه إمامـًا لك في عباداتك وأخلاقك بحيث تستحضر عنـد فعل العبادة أنك متبع له، وكأنه أمامك ترسـم خطاه وتنهـج نهجـه. وكذلـك في مخالقـة الناس أنـك متخلق

بأخلاقه التي قال الله لـه عنها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم: آية ٤].

ومتى التزمت بهذا فستكون حريصًا غاية الحرص على العلم بشريعته وأخلاقه.

٣. أن تكون داعيًا لسنته ناصراً لها مدافعًا عنها فإن الله تعالى سينصرك بقدر نصرك لشريعته.(١)



(١) انظر مجموع الفتاوى٢٦/ ٤٣٦

فائدة

العبادات المتنوعة يشرع للإنسان أن يفعلها على تلك الوجوه التي أتت عليها، فمثلاً: الاستفتاح هناك استفتاحات متنوعة إذا استفتح بواحد منها أتى بالمشروع.

فمنها ما دل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد» .

ومنها أيضًا: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

فلو استفتح بالأول، أو الثاني، أو بغيرهما مما ورد من الاستفتاحات. فلا حرج عليه، بل الأفضل أن يستفتح بهذا تارة وبهذا تارة.

وكذلك ما ورد في التشهد، وكذلك ما ورد في أذكار الصلوات

...





وأعلم أن تنوع العبادات والأذكار من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على الإنسان؛ وذلك لأنه يحصل بها عدة فوائد، منها:

أن تنوع العبادات يؤدي إلى استحضار الإنسان ما يقول من الذكر؛ فإن الإنسان إذا داوم على ذكر واحد صار يأتي به بدون أن يحضر قلبه، فإذا تعمد وقصد تنويعها فإنه بذلك يحصل له حضور القلب.

ومن فوائد تنوع العبادات:

أن الإنسان قد يختار الأسهل منها والأيسر لسبب من الأسباب، فيكون في ذلك تسهيل عليه.

ومنها: أن في كل نوع منها ما ليس في الآخر فيكون في ذلك زيادة ثناء على الله عَزَّوَجَلَّ.[1]



(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٨٦

فائدة

العبادة مبنية على أمرين عظيمين، هما المحبة والتعظيم، الناتج عنهما: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية ٩٠]، فبالمحبة تكون الرغبة، وبالتعظيم تكون الرهبة والخوف.

ولهذا كانت العبادة أوامر ونواهي: أوامر مبنية على الرغبة وطلب الوصول إلى الآمر، ونواهي مبنية على التعظيم والرهبة من هذا العظيم.

فإذا أحببت الله عَزَّوَجَلَّ، رغبت فيما عنده ورغبت في الوصول إليه، وطلبت الطريق الموصل إليه، وقمت بطاعته على الوجه الأكمل، وإذا عظمته خفت منه، كلما هممت بمعصية، استشعرت عظمة الخالق عَزَّوَجَلَّ، فنفرت، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [سورة يوسف: آية ٢٤]، فهذه من نعمة الله عليك، إذا هممت بمعصية، وجدت الله أمامك، فهبت وخفت وتباعدت عن المعصية، لأنك تعبد الله رغبة ورهبة.(١)

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٨ .

فائدة

عندمـا تأتي إلـى الصلاة فاستشـعر أنك مسـتعين بالله عَزَّوَجَلَّ ومعتمـد عليه ومتوكل عليه، وأعتقـد أن أكثر الناس لا يطرأ على بالهم أنهم مستعينون بالله، بل يأتي يصلي على العادة.[1]

❊❊❊

(١) انظر تفسير سورة الفاتحة ص ٦٧ .

﴿ فائدة ﴾

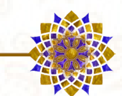
ينبغي للإنسان أن يتعاهد مسواكه ويغسله، أما أن يبقى طوال الدهر لا يغسل، فهذا لا يزيدك إلا تلويثًا .

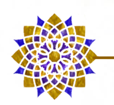
قال بعض أهل العلم: ويتسوك عند قراءة القرآن؛ لأن الملك يتلقف القرآن من فم الإنسان إذا قام يقرأ القرآن، فينبغي أن يتسوك؛ ليكون فمه طيبًا طاهراً .

ثم إننا ننبه في آخر كلامنا هذا على أن تقصد بالسواك مرضاة الرب، فهو أهم من كونك تنظف الفم، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب) فأنت إذا تسوكت تنال بذلك رضا الله عَزَّوَجَلَّ، فانتبه لهذه النقطة، لأن كثيراً من الناس لا ينتبهون لمثل هذه الأشياء الدقيقة، فيفوتهم خير كثير.[١]

❊❊❊

(١) انظر شرح مشكاة المصابيح ٢/ ٣٢٦ .





فائدة

ينبغي لنا - نسأل الله أن يوقظ قلوبنا - ألا ننوي بأكلنا وشربنا مجرد التشهِّي، بل ننوي به:

أولاً: امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ لأن الله أمرنا بالأكل والشُّرب في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١].

ثانيًا: ننوى بذلك حفظ أبداننا لأن بدنك أمانة عندك ائتمنك الله تعالى عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم: آية ٦] هذه الأمانة الدينية، والأمانة البدنية الدنيوية ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة النساء: آية ٢٩]، ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: آية ١٩٥].

ثالثًا: ننوى بذلك التنعم بنعم الله، والتنعم بنعم الله قربة، لأنه يدلُّ على قبولك لنعمة الله عليك، ومعلوم أن قبول ذي المنة اعتراف بفضله عَزَّوَجَلَّ.

رابعًا: تنوى بذلك التقوى على الطاعة ولهذا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (تسحروا فإن في السحور بركة) أمرنا بالسحور من أجل التقوى على الصيام.[١]

(١) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٢١ .

فائدة

ينبغي للمتـزوج أن يلاحظ نية التعبـد والتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ **في نكاحه حتى يحصل علـى فائدتين**: فائدة العبادة، وفائدة قضاء الوطـر، وهذه النية تغيب عن كثير مـن المتزوجين حيث إن كثيراً منهم لا يلاحظ ولا يستشـعر عند عقد النكاح والدخول إلا قضاء الوطر، وهذا في حد ذاته خير، لأن فيه الإعفاف وكفّ البصر وغضه، لكن استشعار التعبد لله تعالى بطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ خير من ذلك وأعلى.[١]



(١) انظر كتاب الزواج ص ٥٢ .

فائدة

كيف يكون إخلاص النية في العمل؟

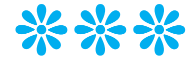
نقـول: إخـلاص النية في العمل هو أن يتناسـى الإنسـان كل ما سـوى الله، وأن لا يكون الحامل له على هـذه العبادة إلا امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وإرادة ثوابه ووجهه عَزَّوَجَلَّ، وأن يتناسـى كل شـيء يتعلـق بالدنيا في هـذه العبادة، فلا يهتم بالنـاس أرأوه أم لم يروه، أسـمعوه أم لم يسـمعوه، ولا يبالي بهم أثنوا عليـه أم قدحوا فيه، وكذلك أيضـًا من أسباب الإخلاص أن يكون الإنسان حين قيامه بالعبادة مستحضراً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ بها، ومستحضراً لاتباع الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيها، مثال ذلك رجل قام يتوضأ للصلاة، فهنا نقول:

أولاً: اسـتحضر أنـك إنمـا قمـت، نعـم، اسـتحضر أنـك إنمـا توضـأت امتثالاً لأمـر الله عَزَّوَجَلَّ، كأنـك الآن تقـرأ قول الله تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [سـورة المائـدة: آيـة ٦]، وكأنـك في وضوئك تقول: سـمعًا وطاعة، تجد في






هذا حـلاوة ولذة وحبًا للطهارة؛ لأن الله أمرك بها، ثم اسـتحضر أنك في هذا العمل متبعٌ لرسـول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنما رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمامك وأنت تتبعه في هذا الوضوء، وبهذا يتحقق لك الثواب والأجر للإخلاص والمتابعة، وبذلك تحقق شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.[(١)]



(١) انظر فتاوى نور على الدرب ١/ ٤١٦ .

فائدة

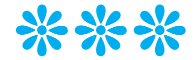
مما يعين على الخشوع:

أن الإنسان يفرغ قلبه إذا أقبل على الصلاة تفريغًا كاملاً، ويشعر بأنه واقفٌ بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما في قلبه كما يعلم تحركاته في بدنه، ليس كالملوك، يمكن أن تقف أمام الملك متأدبًا بظاهرك وقلبك في كل مكان ولا يعلم، لكن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ظاهرك وباطنك، فاستحضر أنك بين يدي الله، وإذا قلت: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ استحضر أن الله يجيبك؛ لأنه ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي نصفين، وإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).





لو أننا اســتحضرنا هذه المحاورة مع الله عَزَّوَجَلَّ، هل يمكن أن تلتفت قلوبنا يمينًا أو شــمالاً؟ لكن المصلي في غفلة؛ فمن أكبر العون على الخشــوع أولاً: أن يعتقد الإنســان أنه واقف بين يدي الله.[1]



(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ٢١

فائدة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٨]، يجتمع في صلاة الصبح ملائكة الليل وملائكة النهار، ثم تصعد ملائكة الليل، وتبقى ملائكة النهار .

وهذا من عظمة الله عَزَّوَجَلَّ أن هؤلاء الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم يتعاقبون بانتظام عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر، ولهذا ينبغي للإنسان أن يستحضر هذا وهو يصلي الفجر، وهو أن الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم مجتمعون في هذه الصلاة، وكذلك عند صلاة العصر، لكننا -والله- نغفل كثيراً حتى تمر بنا هاتان الصلاتان، وكأنهما بقية الصلوات، وهذا أمر سببه الغفلة عن هذه الأمور العظيمة، وإلا فإنك لو استحضرت وأنت تصلي الفجر أن ملائكة الليل وملائكة النهار شاهدون معك في هذه الصلاة، وكذلك في العصر، لوجدت لهاتين الصلاتين شأنًا كبيراً، وأمراً عظيمًا، لا تجده في غيرهما.[١]

---

(١) انظر شرح الكافية الشافية ٢/ ٨٥ .

فائدة

من خُلِقَ للعبادة ينبغي أن يجعل عمله كله عبادة؛ ولهذا كان الموفقون الكيسون يجعلون عاداتهم عبادة، والغافلون يجعلون عباداتهم عادة، تجد الموفق وأسأل الله أن يجعلنا ومن سمع منهم، تجده إن أكل يأكل امتثالاً لأمر الله؛ لأن الله أمر كلوا واشربوا ويقصد بالأكل حفظ بدنه، وهو مأمور بحفظ بدنه، إن أكل يريد الاستعانة به على طاعة الله، فلو أكل الآن الذي يتلذذ به أكلاً وشربًا، يكون طعامه الذي يتلذذ به أكلاً وشربًا يكون عبادة، إن لبس ينوي بذلك ستر عورته وسوأته عن الناس، ثم يتذكر بهذا أنه كما يحب أن يستر عورته الحسية عن الناس، فليستر عورته المعنوية بالتوبة إلى الله؛ ولهذا لما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [سورة الأعراف: آية ٢٦]، وهذا اللباس الضروري: ﴿وَرِيشٗا﴾، وهذا لباس الجمال قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾، لباس التقوى ذلك خير، فإذا نوى واستحضر بقلبه عند اللباس، هذا المعنى صار اللباس عبادة، وهكذا العادات يستطيع المؤمن الموفق الكيس أن يجعل من عاداته عبادات،





والغافل عباداته عادات، اعتاد إنه إذا أذن في المسجد يصلي، واعتاد أنه إذا جاء رمضان صام، واعتاد أنه إذا جاء وقت الزكاة تصدق، وهو في غفلة، ولهذا النية لها مدخل عظيم في العبادات، فمثلاً أكثر الناس إذا جاء وقت الصلاة، أو أراد أن يصلي نافلة، قام وتوضأ وصلى، لكن هل منا من يستحضر إذا كان يصلي يمتثل أمر الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]. هل يستحضر أنه يطبق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾، عند غسل وجهه. الذي ينبغي لنا أن نستحضر هذا، ونخلص لله عَزَّوَجَلَّ ونقول: أغسل وجهي امتثالاً لأمر الله، أغسل يدي امتثالاً لأمر الله، أمسح رأسي امتثالاً لأمر الله، أغسل رجلي امتثالاً لأمر الله، ثم يستحضر أيضًا معنًا آخر، أنني أفعل هذا اتباعًا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكأني أشاهد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يتوضأ على هذه الكيفية، حين إذن نحقق في هذا الاستحضار الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.




والحقيقة أن الإنسان إذا عرف قدره وقدر حياته، استطاع بمعونة الله عَزَّوَجَلَّ أن يقلب عاداته عبادات، وأن يكمل عباداته باستحضار هذه النيات، ويكون حقق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات: آية ٥٦].

أسأل الله تعالى أن يمن علي وعليكم وعلى من سمع، بهذه النية الطيبة.[١]



(١) انظر فتاوى نور على الدرب رقم ٣٤٤ .

فائدة

يجب علينا أن نعلم نعمة الله عَزَّوَجَلَّ علينا بالأكل والشرب في تيسيره وتسهيله، حتى وصل إلينا، وقد أشار الله -تعالى- إلى هذه النعم في سورة الواقعة، فقال عَزَّوَجَلَّ بعد أن ذكر المادة التي خُلِق منها الإنسان، وذكر المواد التي يقوم بها الإنسان: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الواقعة: آية ٦٤].

الجواب: بل أنت يا ربنا، ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الواقعة: آية ٦٥] أي لو نشاء لنبت الزرع ونما واستتم، ثم جعله الله حطامًا، بما يُرسَل عليه من العواصف، أو القواصف، وهذا أشد في الحسرة، من كونه لا ينبت، يعني أن الله لم يقل: لو نشاء لم ينبت، بل قال: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ وهذا أشد؛ لأن تعلق النفس به بعد أن نما واستتم أشد من تعلقها به وهو بذر ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الواقعة: آية ٦٩].

الجواب: بل أنت يا ربنا ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٠] ولم يقل: لو نشاء لم ننزله من المزن؛ لأن كون الماء بين يديك،

ولكن لا تستطيع أن تشربه لكونه أجاجًا أشد حسرة ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٠-٧١] ويصلح بها الطعام ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٢].

الجواب: بل أنت يا ربنا.

اذكر هذه النعم، قبل أن تذكر نعمة الله عليك بالأكل والشرب، ثم اذكر نعمة الله عليك بأنك تسيغ الأكل، ويسهل عليك، وتتلذذ به مذاقًا، وتتلذذ به مقراً في المعدة، وتتلذذ به إخراجًا، نعمٌ عظيمة، ألم يكن في الناس من لا يستطيع أن يسيغ اللقمة أو التمرة؟ بلى، فاحمد الله.

كذلك - أيضًا - من الناس من لا يتنعم بقرار الطعام في المعدة، ومن الناس من لا يتنعم بإخراج هذا الأكل بعد أن تفرقت الفائدة في الجسد، إذاً اذكر هذا.

إننا في الحقيقة - ونسأل الله أن يغفر لنا ويعفو عنا - نأكل كما تأكل الأنعام، أكثر ما نأكل تشهيًا فقط، دون أن نذكر هذه النعم التي بأيدينا، وليست من صنعنا، اللهم ذكِّرنا ما نسينا، وعلمنا ما جهلنا.

هـذا الأكل الـذي تدعـو إليـه الطبيعة، جعـل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للموفقين فيه عبادات عند البدء به، وعند الانتهاء منه، وفي أثنائه:

أولاً: اذكـر أنـك تأكل امتثـالاً لأمـر الله؛ لأن الله أمرك فقال: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١].

ثانيـًا: تـأكل لتحفظ صحتـك وعافيتك، حتـى في العبادة إذا كنت مريضًا وخفت من الماء، فإنك تتيمم حفاظًا على الصحة، ووقاية للبدن من المرض.

ثالثًا: تأكل لتقوى على طاعة الله، ولا سيما في السحور حيث قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تسـحروا فإن في السـحور بركة»، فيكون أكلك الذي تدعو إليه النفس والفطرة عبادة من أجلِّ العبادات.(١)



(١) انظر الشرح الممتع ١٢/ ٣٥٦.

فائدة

ينبغي لمن خرج إلى الحج أو غيره من العبادات أن يستحضر نيـة التقرب إلى الله تعالى في جميـع أحواله؛ لتكون أقواله وأفعاله ونفقاته مقربة له إلى الله تعالى، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.

وينبغـي أن يتخلـق بالأخلاق الفاضلة مثل الكرم والسـماحة والشـهامة والانبسـاط إلى رفقته وإعانتهم بالمال والبدن وإدخال السـرور عليهم، هـذا بالإضافة إلى قيامه بمـا أوجب الله عليه من العبادات واجتناب المحرمات.(١)



(١) انظر المنهج لمريد العمرة والحج ص ٥

فائدة

لا يصح أن يغسل الكافر المسلم، لأن الغسل عبادة محضة، ويدل على أنها عبادة أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها؛ حيث قال: (اغسلوه بماء وسدر) فالغاسل الذي يُغسل الميت ينبغي له أن يستشعر أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره بهذا؛ حتى يكون قائمًا بعبادة، أي: يمتثل بها أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.[1]

❊❊❊

(١) انظر التعليق على الكافي ٣/ ٢٣.

فائدة

من آداب قراءة القرآن:

أن يخلص الإنسان نيته لله تعالى بتلاوته، فينوي بذلك التقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى لو أراد مع ذلك أن يثبت حفظه إذا كان حافظًا، فإن هذه نية صالحة لا تنافي الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

ومن الآداب أن يستحضر الثواب الذي رتب على تلاوة القرآن، ليكون محتسبًا بذلك على ربه عَزَّوَجَلَّ، راجيًا ثوابه، مؤملاً مرضاته.

ومن الآداب أن يقرأ بقلب حاضر يتدبر ما يقرأ ويتفهم معانيه ويخشع عند ذلك قلبه ويستحضر بأن الله يخاطبه فيه هذا القرآن؛ لأن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ.(١)

❋❋❋

(١) انظر فتاوى نور على الدرب ٢/ ١٤٢، ومجالس شهر رمضان ص ٩٢ .

فائدة

ليُعلم أنَّ المرءَ من حين يدخل في الإحرام إلى أن يحِلَّ منه فهو في عبـاده، في ليله ونهاره، ونومه ويقظته، وقيامه وقعوده، فليشـعر بذلك شـعوراً تامـًا، حتى يحصل له زيادة الإيمان، والرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فـإن ذلك من أهم الأمور التي ينبغي للإنسـان أن يعتني بها. (١)

❊❊❊

---

(١) انظر فتاوى سؤال على الهاتف ٢/ ٦ .

فائدة

الإنسان الموفق -نسأل الله أن يجعلنا وإياكم موفقين- هو الذي يتخذ من عاداته عبادات، والغافل هو الذي يجعل عباداته عادات، الغافل يجيء مثلاً: يقوم يتوضأ ويصلي على العادة، ويتناول الطعام والشراب واللباس أيضًا على العادة.

أما الإنسان الموفق فهو الذي يجعل العادات عبادات، يشعر بأنه يتقرب إلى الله، وكذلك يحتسب الأجر، وأنها ستكون ذخراً له؛ يعني: سلفًا مقدمًا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٥] فالأعمال الصالحة هي في الحقيقة سلف، دراهم تقدمها لتأخذها مضاعفة: (الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة).

فالإنسان العاقل يشعر بأن الأمور العادية يمكن أن تكون عبادات، فنحن نتناول الأكل والشرب على أنه شهية لنفوسنا، وهذا من طبيعتنا، لكن الموفق يمكن أن يجعل هذا الأكل والشرب عبادة .

مثلاً: في السحور، كلنا نجلس على مائدة السحور، فهل نشعر ونحن نأكل السحور بأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (تسحروا فإن في السحور بركة)؟! إلا من شاء الله وهم قليل.

إذن : إذا جلست على السحور تذكر: أولاً: أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قوله: (تسحروا) .

ثانيًا: سنته، أنه هو نفسه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يتسحَّر، فكأنه أمامك يتسحر وأنت تقتدي به.

ثالثًا: رجاء بركة هذا السحور؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (فإن في السحور بركة) .

لا ندري هل نحن نشعر بهذه الأمور الثلاثة عند تناول السحور أم لا؟...

لكن الإنسان الموفق يلاحظ الأمور الثلاثة التي ذكرناها.

وكذلك في الإفطار نتناول الإفطار؛ لأن الطبيعة تقتضي ذلك وتطلبه، فنأكله تمتعًا وتلذذاً؛ لكن هل نحن نشعر بأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (إذا أفطر أحدكم فليفطر على رُطَب، فإن لم

يجد فعلى تمر، فإن يجد فعلى ماء) هل نشعر بهذا؟! وأننا نفطر امتثالاً لأمر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟! أو نشعر بأننا نفطر ونبادر بالفطور رجاء الخير؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)؟ واحرص أن تكون مائدة الإفطار عندك وقت الأذان، من أجل أن تبادر، فلا يؤذن وأنت بعيد عن الأكل، فإن أذن وأنت بعيد عن الأكل ربما يفوتك الخير، فبادر بالأكل: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) وفي الأثر أن الله تعالى يقول: (أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطراً) .

إذن: العبادات عند الغافل عادات، والعادات عند العاقل عبادات، فكلنا يلبس الثياب عند الصلاة، وعند الخروج إلى السوق، لكن هل نحن نشعر بلباسنا عند الصلاة أننا ممتثلون قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١] ومن عاداتنا أننا نغطي الرأس بالزينة، فالواحد منا يلبس غترة وشماغاً، فهل إذا أراد أن يصلي يحرص على لباس الغترة والشماغ وجميع اللباس أم لا؟!






الجواب: نعم؛ لأن الله يقول: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١]؛ لكن لو كنا في بلد اعتادوا ألا يلبسوا اللباس فوق الرأس، صار كشف الرأس عندهم لا نقص فيه، ولا ينقص الصلاة شيئًا؛ لأن الزينة لا تتناوله، فالزينة في كل موضع بحسبه.(١)

❋❋❋

(١) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٣٢٨ .

فائدة

كم من إنسان تعجل في التدريس والفتيا فندم؛ لأنه تبين له أن ما كان يقرره في تدريسه أو يفتي به في فتواه كان خطأ، والكلمة إذا خرجت من فم صاحبها ملكته، وإذا كانت عنده ملكها.

فليحذر الإخوة الذين هم في ريعان طلب العلم من التعجل وليتأنوا حتى تكون فتواهم مبينة على أسس سليمة، وليس العلم كالمال يتطلب الإنسان فيه الزبائن ليدرك من يبيع بل يدرك من يشتري منه، بل العلم إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيجب على الإنسان أن يكون مستشعرًا حين الفتوى شيئين:

الأول: أنه يقول عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن شريعة الله.

الثاني: أنه يقول عن رسوله الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء[1].

❋❋❋

(١) انظر كتاب العلم ص ١٣٦ .

فائدة

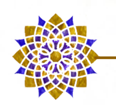
الإنسان إذا سعى يستحضر:

أولاً: سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وثانياً: حال أم إسماعيل وأنها وقعت في شدة عظيمة حتى أنجاها الله، فأنت الآن في شدة عظيمة من الذنوب فتستشعر أنك تحتاج إلى مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ كما احتاجت أم إسماعيل إلى الغذاء، واحتاج ولدها إلى اللبن، وقد قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أقبل على الصفا: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به، ليشعر نفسه أنه إنما طاف بالصفا والمروة؛ لأنهما من شعائر الله عَزَّوَجَلَّ ولذلك لا تقرأ هذه الآية إلا إذا أقبل على الصفا حين ينتهي من الطواف وأما بعد ذلك فلا تقرأ(١).

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ٧/ ٢٧١.

فائدة

هل الدَّاعي إذا استعاذ بالله مِن عذابِ القبر؛ يريد مِن عذاب مدفن الموتى، أم مِن عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام السَّاعة؟

الجواب: يُريد الثاني؛ لأن الإنسان في الحقيقة لا يدري هل يموت ويُدفن، أو يموت وتأكله السِّباع، أو يَحترق ويكون رماداً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [سورة لقمان: آية ٣٤] فاستحضر أنك إذا قلت: «من عذاب القبر» أي: مِن العذاب الذي يكون للإنسان بعد موتِه إلى قيام السَّاعة[1].



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٧٧.

فائدة

النيَّةُ شرطٌ في جميع العبادات، والكلامُ على النيَّة من وجهين:

الأول: من جهة تعيين العمل ليتميَّز عن غيره، فينوي بالصَّلاة أنَّها صلاة وأنَّها الظُّهر مثلاً، وبالحجِّ أنه حجٌّ، وبالصِّيام أنَّه صيام، وهذا يتكلَّم عنه أهل الفقه.

الثَّاني: قصدُ المعمول له، لا قصد تعيين العبادة، وهو الإخلاص وضدُّه الشِّرك، والذي يتكلَّم على هذا أرباب السُّلوك في باب التَّوحيد وما يتعلَّق به، وهذا أهمُّ من الأوَّل، لأنَّه لُبُّ الإسلام وخلاصة الدِّين، وهو الذي يجب على الإنسان أن يهتمَّ به. وينبغي للإنسان أن يتذكَّر عند فعل العبادة شيئين:

الأول: أمر الله تعالى بهذه العبادة حتى يؤدِّيها مستحضراً أمر الله، فيتوضَّأ للصَّلاة امتثالاً لأمر الله؛ لأنَّه تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]. لا لمجرد كون الوُضُوء شرطًا لصحَّة الصَّلاة.

الثاني: التأسِّي بالنبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لتتحقَّق المتابعة.[١]

(١) انظر الشرح الممتع ١/ ١٩٤ .

فائدة

ينبغـي للطائف أن يكون دائمًا في هـدوء وطمأنينة، من أجل أن يسـتحضر ما هـو متلبس به من طاعـة الله، فقد قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إنما جعـل الطواف بالبيـت، وبالصفا والمروة، ورمي الجمار، لإقامة ذكر الله»[1].



(١) انظر فقه العبادات ص ٣٩٢ .





فائدة

من الأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج عند رمي الجمرات:

أن بعضهم يظن أن هذه الجمرات شياطين، وأنهم يرمون شياطين، فتجد الواحد منهم يأتي بعنف شديد وحنق وغيظ، منفعلاً انفعالاً عظيمـًا، كأن الشيطان أمامه، ثم يرمي هذه الجمرات، ويحدث من ذلك مفاسد:

أولاً: أن هذا ظن خاطئ، فإنما نرمي هذه الجمرات إقامة لذكر الله تعالى؛ واتباعـًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحقيقـًا للتعبد، فإن الإنسان إذا عمل طاعة وهو لا يدري فائدتها، إنما يفعلها تعبداً لله، كان هذا أدل على كمال ذله وخضوعه لله عَزَّوَجَلَّ.

ثانيـًا: مما يترتب على هذا الظن: أن الإنسان يأتي بانفعال شديد وغيظ وحنق وقوة واندفاع، فتجده يؤذي الناس إيذاء عظيمـًا، حتى كأن الناس أمامه حشرات لا يبالي بهم، ولا يسأل عن ضعيفهم، وإنما يتقدم كأنه جمل هائج.

ثالثـــاً: مما يترتب على هذه العقيدة الفاســدة: أن الإنســان لا يستحضر أنه يعبد الله عَزَّوَجَلَّ أو يتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بهذا الرمي، ولذلك يعـدل عن الذكر المشــروع إلى قــول غير مشــروع، فتجده يقول حيــن يرمي: اللهم غضباً على الشــيطان، ورضا للرحمن، مع أن هذا ليس بمشــروع عند رمي الجمرة، بل المشــروع أن يكبر كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

❊❊❊

(١) انظر فقه العبادات ص ٤٣٥ .

فائدة

يقول المصلي بعد رفعه من الركوع: (ربنا لك الحمد) ، أو (ربنا ولك الحمد) أو (اللهم ربنا لك الحمد) أو (اللهم ربنا ولك الحمد)، فالصفات أربع مختلفة وهل يقولها في آن واحد؟

الجواب: يقول هذا مرة وهذا مرة.

وهذه قاعدة ينبغي لطالب العلم أن يفهمها: أن العبادات إذا وردت على وجوه متنوعة فإنها تفعل على هذه الوجوه، على هذا مرة وعلى هذا مرة.

وفي ذلك ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: الإتيان بالسنة على جميع وجوهها.

الفائدة الثانية: حفظ السنة، لأنه لو أهملت إحدى الصفتين لنسيت ولم تحفظ.

الفائدة الثالثة: أن لا يكون فعل الإنسان لهذه السنة على سبيل العادة، لأن كثيراً من الناس إذا أخذ بسنة واحدة صار يفعلها على سبيل العادة ولا يستحضرها، لكن إذا كان يعود نفسه أن يقول هذا مرة وهذا مرة صار منتبهاً للسنة.[١]

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٧٦ .

فائدة

عندما تقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦] هل أنت تسأل الله علمـًا بلا عمل، أو عملاً بلا علم، أو علمـًا وعملاً ؟

الجواب: ينبغي للإنسان إذا دعا الله بقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦] أن يستحضر أنه يسأل ربه العلم والعمل.

فالعلم الذي هو الإرشاد، والعمل هو التوفيق، وهذا فيما أظن - والعلم عند الله - أنه يغيب عن بال كثير من الناس عندما يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦][(١)].

❋❋❋

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ١٤٦ .

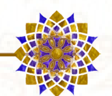
فائدة

من فوائد قول النبي ﷺ: (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه)، أنه لا يحصل هذا الثواب العظيم إلا لمن جمع بين الوصفين: الإيمان والاحتساب، ومسألة الاحتساب يغفل عنها كثير من الناس، فأكثر الناس يقومون بالعمل الصالح لأنه عمل صالح، لكن الاحتساب قليل، وأضرب مثلاً لذلك: نحن نتوضأ لكل صلاة، فعندما نتوضأ أمامنا ثلاثة أمور مقصودات شرعًا:

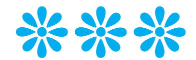
أولاً: امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ، فكأنك وأنت تتوضأ تطبق ما أمر الله به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [سورة المائدة: آية ٦]، أي: تستشعر أن الله يأمرك وتقول: سمعًا وطاعةً.

ثانيًا: التأسي برسول الله ﷺ، كأنما رسول ﷺ أمامك يتوضأ وأنت تقتدي به.



ثالثًا: الاحتساب، وهو أنك إذا توضأت خرجت خطاياك عند آخر قطرة، فالاحتساب أن الإنسان يحتسب هذا على الله أنه - تعالى - سوف يأجره على هذا، ولذلك نقول في سجود التلاوة: «اللهم اجعلها لي عندك ذخراً»، فهذا أمر ينبغي أن نتفطن له.[1]



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٧/ ٤٧٩ .

فائدة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء: آية ١٠٠]، يعني: مَن شَرع في الأعمال الصالحة يريدها، وَلَكِنَّهُ لم يُدركها - أدركه الموت - فقد وقع أجره على الله.

وهذه بشرى لطالب العلم الذي بدأ بالعلم مِنْ أَجْلِ أَنْ ينال العلم، فينتفع، وينفع عباد الله؛ لَوْ أدركه الموت، فإن أجره الذي أراده قد وقع على الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا ضمانٌ مِن رَبِّنَا سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أَنْ يُثِيبه ثواب البالغ لغايته(١).



(١) انظر التعليق على مقدمة المجموع ص ١٨ .

فائدة

علو الهمة من أهم ما يعين على طلب العلم، فطالب العلم ينبغي أن يكون له هدف من تعلمه، ليس مراده إضاعة الوقت بهذا الطلب.

ومن أهم هِمم طالب العلم: أن يُريد القيادة والإمامة للمسلمين في علمه، ويشعر أن هذه مرتبة يرتقي إليها درجة درجة حتى يصل إليها، وإذا كان كذلك فسوف يرى أنه الواسطة بين الله عَزَّوَجَلَّ والعباد في تبليغ الشرع، وإذا شعر بهذا الشعور فسوف يحرص غاية الحرص على اتباع ما جاء في الكتاب والسنة، معرضًا عن آراء الناس، إلا أنه يستأنس بها ويستعين بها على معرفة الحق، لأن ما تكلم فيه العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من العلم هو الذي يفتح الأبواب لنا، وإلا لما استطعنا أن نصل إلى درجة استنباط الأحكام من النصوص، أو نعرف الراجح من المرجوح، وما أشبه ذلك[(١)].

(١) شرح حلية طالب العلم ص ١٦١ .

فائدة

من فوائد حديث: (وللصائم فرحتان يفرحهما ...) أن للصائم فرحتين: إذا أفطر فرح بفطره، وذلك لحل ما تشتهيه نفسه من مأكول ومشروب ومنكوح، ولأنه أدى فريضة من فرائض ربه، فالإنسان اليقظ يفرح للأمرين جميعًا، والغافل يفرح للأول، ويتناول ما أحل الله عَزَّوَجَلَّ له، لا سيما مع طول النهار وشدة الحر، فإنه يرتقب الغروب بفارغ الصبر، ويفرح إذا أذَن من أجل أن يأكل ويشرب، لكن الذي ينبغي لنا - ونسأل الله أن يوقظنا - أن نشعر بأن هذا الفرح له سببان:

السبب الأول: أن الإنسان أدى فريضة مما فرضه ربه عليه.

والسبب الثاني: أنه تناول ما كان حرامًا عليه.

كذلك أيضًا إذا لقي ربه يوم القيامة أو قبل يوم القيامة بعد الموت فرح بصومه بما يحصل له من الثواب العظيم على هذا الصوم، ففرحة بفطر، وفرحة بصوم، ففي الدنيا فرحة بفطر، وفي الآخرة فرحة بصوم[١].

---

(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ٥/ ٤٥٦ .




فائدة

معنى الإيمان والاحتساب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه) معنى الإيمان هنا: الإيمان بأن الله فرضه، والإيمان بما في صيامه من ثواب.

ومعنى الاحتساب: أن الإنسان يحتسب على الله أجره في صيامه لهذا الشهر، كثير منا والحمد لله يصلي، كلنا نصلي ونصوم رمضان، لكن هل يقع في قلوبنا أننا نريد بذلك ثواب الله، وأن يكون هذا ذخراً لنا عند الله، أكثر الناس في غفلة عن هذا، أكثر الناس إنما يريدون أن يؤدوا الفريضة، ولا يخطر ببالهم ثوابها، وهذا أعني كون الثواب يخطر ببال المتعبد أمر مهم، ولهذا قيد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيد هذا الثواب العظيم، لمن صام رمضان بأن يكون صيامه إيمانًا واحتسابًا لا عادة.



فائدة

احتساب الأجر على الله، أمر مهم يغفل عنه كثير من الناس، كثير من الناس يصلي ويتوضأ ويعمل العمل الصالح، لكن ليس في باله أنه يحتسب الأجر، وأنه سيؤجر عليه، فينبغي لنا أن ننتبه لهذا، وأن لا تستولي علينا الغفلة، لأن هناك نية واحتسابًا، فالإنسان ينوي العمل لله عَزَّوَجَلَّ، لكن يغفل عن كونه محتسبًا، وكونه محتسبًا فيه فائدتان:

الفائدة الأولى: أن الإنسان واثق بوعد ربه عَزَّوَجَلَّ، وأنه سيعيضه على هذا العمل .

الفائدة الثانية: تقرير وتثبيت الإيمان باليوم الآخر، لأن المحتسب يعني أنه يؤمن بأن هناك يومًا آخر يحاسب فيه، ويؤجر على عمله[1] .

❋❋❋

(١) انظر: التعليق على صحيح البخاري ٣/ ١٣٧.

فائدة

إذا نويت بطلب العلم امتثال أمر الله ماذا سيكون طلب العلم؟

يكون عبادة تتقرب به إلى الله تُقلب صفحات الكتاب فأنت في عبادة كالذي يُهندس مسدسه ومدفعه للجهاد وإذا كان العلم بهذه النية فلا يعدله شيء[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا فرق بين المجاهد الذي يسوي أسنة قوسه، وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله وبيان شريعة الله لعباد الله[2].



(١) انظر شرح الأربعين النووية.

(٢) شرح رياض الصالحين ٥/ ٤١٤.





فائدة

من فوائد قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً» ملاحظة الإخلاص في العمل؛ لقوله: «تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ»، وأنه يجب على الإنسان أن يُخلص دائمًا في أعماله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا ينظر إلى غيره، فيحبط عمله، فتصلي وتصوم وتُزَكِّي وتحجُ تُريد وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تجعل لأحد قصدًا في عباداتك، بل إن الأعمال العادية ينبغي لك أن تبتغي بها وجه الله حتى تكون عبادات؛ ولهذا يقول أهل السَّيْر والسلوك: «أهل الحزم عاداتهم عبادات - يعني: بالنية - وأهل الغفلة عباداتهم عادات»؛ لأنه يُصَلّي ويصوم على العادة، وهذا صحيح[1].



(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ٧/ ٧٨٤.

فائدة

الاختبارات المدرسية تصفية للثمرة التي حصلها الطالب في زمن الدراسة، والطالب يمكن أن يصحح النية ولو مع هذه الاختبارات، فينوي أنه يختبر لينال المرتبة التي لا يحصلها إلا بهذه الاختبارات، وينوي بحصوله على هذه المرتبة منفعة الخلق.

وأنا أضرب لكم مثلاً: لا يمكن أن يدرس مثلاً في الجامعة إلا إذا كان معه شهادة، فإن لم يكن معه شهادة ولو كان على جانب كبير من العلم لم يتيسر له أن يدرس في الجامعة، إذاً: فأنوي بالشهادة أن أصل إلى مكان أنفع فيه الخلق، وهذه نية سليمة لا تنافي الإخلاص لله ما دمت تريد الوصول إلى مكان تنفع فيه الخلق، ولا طريق للوصول إلى هذا المكان في الوقت الحاضر، وحسب مصطلحات الأمم إلا بهذه الشهادة، فإذا نويت هذه النية فهي نية سليمة، وليس فيها نوع من الانحراف، أو الشرك، أو الرياء[١].

❋❋❋

---

(١) انظر اللقاءات الشهرية ١/ ٤٦٧

فائدة

حِينَ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، بَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ وَلَمْ يُفِقْ إِلَّا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ؛ لأَنَّ أَهْلَ الطَّائِفِ أَسَاءُوا مُعَامَلَتَهُم إِيَّاهُ حَيْثُ اصْطَفُوا صَفَّينِ، وَجَعَلُوا يَهْتِفُونَ بالسُّخرية بِهِ، وجَعَلَ سُفَهَاؤُهم يَرمُونَهُ بالحِجَارَةِ، حَتَّى أَدْمَوْا عَقِبهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فطُرِدَ مُشَرَّدًا عَلَى هَذَا الوَجْه، وهَذَا أَمْرٌ صَعْبُ أكثَرَ مما فعلَهُ أَهْلُ مَكَّة بِهِ عِنْدَ الهجرة، ولذلِكَ لَمْ يُفِقْ ﷺ إِلَّا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ.

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، **وسَلَّم عَلَيْهِ، وَقَالَ**: هَذَا مَلَكُ الْجِبَالِ، يَعْنِي: مُرْهُ بِمَا تَشَاءُ، (يُقرِئُكَ السَّلامُ، ويقُولُ: إِنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ الْأَخْشَبَينِ عَلَيْهِمْ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - مَعَ هَذِهِ الشَّدَّةِ العَظِيمَةِ-: (بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ). اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ! وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ﷺ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْانْتِقَامِ لنَفْسِهِ وَإِلَّا لَكَانَتْ هَذِهِ فُرْصَةً أَنْ يُطبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَينِ وَيَهْلِكُوا جَمِيعًا، لكنَّه ﷺ لَيْسَ يَدْعُو النَّاسَ لنَفْسِهِ، وإِنَّما هُوَ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة النحل: آية ١٢٥].

ومِنْ هُنَا نَنْطَلِقُ إِلَى: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يُشْعِرَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى اللهِ، لَا إِلَى فَرْضِ السَّيْطَرَةِ، أَو إتمَامِ الكَلِمَةِ، أَو إِبْرَادِ الغِيرَةِ؛ لأَنَّ هَذَا خَطَأٌ، ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكِ، فَأَيُّ وسيلَةٍ يحصُلُ بِهَا المَقصُودُ وَلَو كَانَ فِيهَا غَضَاضَةٌ عَلَيْكَ فَاعْمَلْهَا، حَتَّى لَو شَاهَدْتَ الرَّجُل يَفْعَلُ المُنكَرَ أَمَامَكَ لَكِنْ تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ فَاصْبِرْ؛ لأَنَّ هَذَا هو المقصود، ولَيْسَ أَنْ تُطفِئ حرارَةَ الغيرة، أو أَنْ تَنْتَقِمَ لِنَفْسِكَ، بَلِ الْمَقْصُودُ إِصْلَاحُ هَذَا الرَّجُلِ إِلَى دِينِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ[١].

❊❊❊

(١) انظر شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص٣١٦.

فائدة

إن في نشرك للعلم نشراً لدين الله عَزَّوَجَلَّ، فتكون من المجاهدين في سبيل الله؛ لأنك تفتح القلوب بالعلم كما يفتح المجاهد البلاد بالسلاح والإيمان[(١)].

❊❊❊

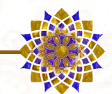
(١) انظر شرح دعاء قنوت الوتر ص ١٢ .

فائدة

جدير بنا أن نسعى بكل ما نستطيع لأخذ العلم الموروث عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولو لم يكن من فضل العلم إلا أن العالم كلما عمل شيئًا فهو يشعر مع إخلاصه لله عَزَّوَجَلَّ بأن إمامه محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لأنه يعبد الله على بصيرة، عندما يتوضأ يشعر كأن الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمامه، يتوضأ الآن، يتبعه تمامًا، وكذلك في الصلاة وغيرها من العبادات، لو لم يأتك من فضل العلم إلا هذا لكان كافيًا، فكيف وهذا الفضل العظيم في حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فالحاصل أن الإنسان الذي يمن الله عليه بالعلم فقد منّ الله عليه بما هو أعظم من الأموال والبنين والزوجات والقصور والمراكب وكل شيء .

فعليك بالاستكثار من ميراث النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق ومهما بلغت في العلم فتذكر كم ترك الأول للآخر(١).

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٤٤٤.





فائدة

ينبغي للإنسان حال العبادة أن يستحضر أنه مستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لتتيسر له العبادة، ولتكون عبادة؛ لكونها متبعًا فيها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخلصًا لله فيها؛ولكونه مستعينًا بالله عليها؛ ولهذا نقول: ينبغي للعابد أن يستحضر ثلاثة أشياء: الإخلاص، والمتابعة، والاستعانة؛ فالإخلاص والاستعانة لله وحده، والمتابعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليوصل إلى الله؛ أما الإخلاص لله: فأن يقصد الإنسان بعبادته وجه الله والدار الآخرة.

وأما الاستعانة: فأن يشعر بأن الله هو الذي أعانه على هذا، ويسَّر له أسباب القيام به، ولولا أنه أعانه ما حصل.

وأما المتابعة: فأن يستحضر كأنما الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمامه، وهو خلفه يقتدي به.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي للعابد أن يكون مستحضراً لها؛ ليكون ذلك أعون له في إتمام العبادة[1].

---

(١) انظر أحكام من القرآن الكريم ١/ ٢٠.

فائدة

طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون طلب العلم واجبًا على الإنسان عينًا أي فرض عين، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المعاملة، وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي[١].



(١) انظر كتاب العلم ص ١٨ .

فائدة

إكـرام الضيف ينبغي أن لا نقول: إنه مـن العادات، بل نقول: إنه مـن العبادات؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَـن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». فإكرام الضيف عبادة تقرب الإنسان من ربه، وتكون سببًا لصلاحه بإذن الله[(١)].

❊❊❊

(١) انظر فتاوى نور على الدرب ١١/ ٢٧٤.





فائدة

في قول النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» لاحظ أنه لابد من الاحتساب، لأجل أن تنال الثواب؛ لأن المصائب إذا قابلها الإنسان بالصبر دون احتساب الأجر صارت كفارة لذنوبه، وإن صبر مع احتساب الأجر صارت - بالإضافة إلى تكفير الذنوب - أجرًا وثوابًا.

ومعنى الإحتساب: أن يعتقد في نفسه أَنّ هذا الصبر سوف يُثاب عليه فيحسن الظن بالله، فيعطيه الله عَزَّوَجَلَّ ماظنه به[1].



(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ١/ ٣١١. وشرح مختصر التحرير، ص ٦٣٦.

فائدة

من المهم جداً أن يحرص المرء على أن تكون عباداته كلها مبنية على الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليكون متعبداً لله على بصيرة، مطمئنًا على سلامة الطريق الذي يسير عليه في عبادته، مستحضراً لإمامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في عمله وأنه تابع له، ولتزداد محبته لله ورسوله ويشعر بتقربه إلى الله تعالى بهذا العمل[1].



(١) انظر الأحكام الفقهية في الطهارة والصلاة والجنائز، ص٣.

فائدة

لا يصيب المؤمن شيء من هم أو غم أو أذى إلا كفر الله به عنه، حتى الشوكة يشاكها، ومع احتساب الأجر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكون الحسنات؛ لأن ترقب ثواب الله واحتساب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ عمل صالح يثاب عليه المرء(١).



(١) انظر تفسير سورة غافر، ص٤٤٥ .

فائدة

الإنسان قد يصل بنيته الصالحة إلى ما لم يصل إليه كثير من الناس، حتى إن الموفق هو الذي يجعل عاداته عبادات فيكلم الناس وينبسط إليهم يرجو بذلك ثواب الله، ويأكل الطعام ينوي بذلك امتثال أمر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٧]، والتبسط بنعمة الله واستشعاره بكرم الله عَزَّوَجَلَّ وتيسيره له وينوي بهذا الأكل والشرب إحياء البدن وحفظ النفس والتقوِّي على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ[1].

❊❊❊

(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ٩/ ٣٩١.

فائدة

ينبغي للإنسان وهو يتهجد لله في هذا الزمن من الليل أن يشعر بـأن الله ينادي، يقول: «مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْـتَجِيبَ لَـهُ؟» فيدعو الله تعالى وهو موقن بهذا.

وقوله: «مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْـتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْـأَلُنِي، فَأُعْطِيَهُ؟» الدعـاء أن تقـول: (يارب)، وهو نـداء، والسـؤال أن تقول مثلاً: (أسـألك الجنة)، فاجتمع في قول القائل: (يارب أسـألك الجنة) الدعاء والسـؤال، وكذلك لو قال: «اللهم إني أسألك الجنة»، ففيه سـؤال ودعاء، فالدعـاء: «اللهم»؛ لأن أصلها: يا الله، والسـؤال: «أسألك الجنة»[1].

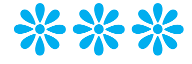
❊❊❊

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ١٤/ ٧١.

فائدة

اعمل عمل الجاد الذي يستحضر أن أجله قد حضر ليكون مستعدًا غاية الاستعداد لا تقل أفعل هذا غدًا فربما لا تدرك غدًا، وفي الصباح لا تؤخر إلى المساء؛ لأنك ربما لا تدرك المساء وهذا أمر مشاهد فالإنسان الحازم هو الذي ينتهز الفرص ويأخذ بالجد[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما أن الماضي مضى سريعًا فالمستقبل سوف يمضي سريعًا، فانتهز الفرصة ولا تضيع الوقت، والإنسان الموفق هو الذي يتخذ من عاداته عبادات، والغافل هو الذي يجعل عباداته عادات[٢].



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ١٦/ ١٦٧ .
(٢) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٣٢٨ .

فائدة

لِتَعْلَم المرأة أن ما يُصِيبُها مِن أذى وألَم في حالِ الحَمْل، أو عِند الوضْعِ، أو في الحضانة بعد ذلك، فإنَّما هو رِفْعَةٌ في درجاتِها وكفَّارَةٌ لِسَيِّئاتِها، إذا احتَسَبَت هذا على اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

❊❊❊

(١) انظر فتاوى نُور علَى الدَّرب ١١/ ٢٨٠.

فائدة

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ».

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ» هو الذي يقوم بمصالحهم، والأرملة والمساكين هم أولادك؛ لأن ولدك الصغير مسكين ليس عنده شيء، ولا يستطيع أن ينفق على نفسه، والزوجة لولا زوجها لكانت أرملة، فيصح أن نُسَمِّيها كذلك؛ لأنها أرملة بدونه، وهل تدخل في المساكين؟

الجواب: نعم، إذا كانت فقيرة فهي داخلة في المساكين.

أو يُقال: إن هذا في مثل إنسان عنده أخته أو بنته قد توفي عنها زوجها، وهو الساعي عليها.

والمقصود: أن الساعي على هؤلاء كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم الليل الصائم النهار، وهذه من نعمة الله على العبد أن يُنفق على أولاده وعلى أهله، ومع ذلك يكون كالمجاهد في سبيل

الله، أو كالصائم القائم.

ولكن هذا مقيد بالحديث السابق: حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]، وذلك إذا كان مع الاحتساب[(٢)].



(١) وهو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً» رواه البخاري.

(٢) انظر التعليق على صحيح البخاري ١٢/ ٨..

فائدة

الإنســان عندما يشعر أنه يُضَحِّي وهو مُصيب لسُنَّة المسلمين

- بقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ» - يجد في نفســه عزاً وفخرًا أن يكون من ضمن الذين أصابوا سُنَّة المسلمين مـن عهد نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عهده، وهـذه منقبة عظيمة، وعلى هـذا فلو بذل الإنســان أضعاف أضعــاف قيمة هــذه الأضحية ما صدق عليه هذا الوصف، فتبين بهذا ما للأضحية من شــأن عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

❋❋❋

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ١٢/ ٣٣٣.

فائدة

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً».

قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا» أي: يحتسب أجرها على الله عَزَّوَجَلَّ «كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»، فخرج بذلك: من ينفق على سبيل الغفلة، فيأتي بالخبز والأدم واللحم والطعام على سبيل الغفلة، فإنه لا يحصل له هذا الفضل، ولا يكون له صدقةً، أما إذا كان يحتسب ذلك فإنه يكون له صدقة، وأكثر الناس من الغافلين لا يحتسبون هذا، وإنما يأتون بالنفقات على سبيل العادة فقط.

وهذا الحديث ينبغي أن يكون مُقَيِّدًا لجميع الأحاديث المطلقة التي وردت في أن الإنفاق على الأهل وعلى النفس صدقة، فيكون المراد: مع الاحتساب(١).

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ١٢/ ٦.

فائدة

عندما يتوضأ الإنسان في بيته ويسبغ الوضوء ويخرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، أتدرون ما ثوابه؟

لا يخطو خطوة واحدة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، اللهم لك الحمد، الخطوة الواحدة لك فيها فائدتان:

الأولى: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يرفع لك بها درجة.

والثانية: أن يحط عنك بها خطيئة.

لكن أين المحتسبون؟

أين الذين يقدرون هذا؟

أين الذين يشعرون حينما يخرجون من بيوتهم إلى المساجد بهذا الشعور؟

أكثر الناس إما جاهل بهذا فلا يدري، وإما عالم لكنه غافل لا يحتسب، ولهذا ينبغي لك أن تحتسب ما تعمله من خير على الله، بمعنى: أن ترجو بذلك ثواب الله.

فنسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته .

فائدة

مـن فوائد قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَـهَ إلا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِـكَ وَجْـهَ اللهِ»، الإشـارة إلى الإخلاص وأهميتـه، فيجـب علينا أن ننظر في أعمالنا: هـل نحن حين نعمل العمل نلاحظ أننا نريد بذلك وجه الله عَزَّوَجَلَّ؟

والنيـات تختلـف أكثر من اختـلاف الأعمال، فـإن الأعمال الظاهرة مختلفة، فالإنسـان الـذي يُصَلِّي ويُكْثِـر الحركة أقلُّ من الإنسـان الذي يُصَلِّي ولا يكثر الحركة، لكن ما في القلوب أعظم تفاوتـًا بكثير، فتجد من الناس مَن يُصَلِّي؛ لأنه مُطالب بهذا، لكن لا يشعر أنه يقصد شـيئًا، وهو الوصول إلى كرامة الله عَزَّوَجَلَّ ووجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما أظنُّ أن يتسـلّط الشـيطان على الإنسان إذا كان دائمًا يستشـعر هـذا، وأنه يُريد وجه الله بكل حركاته، بل سـوف يبتعد عنه(١).

❋❋❋

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ١٢/ ٧٨.

فائدة

أكثر الناس عندما يُسلّم يستحضر أنها تحية فقط، وكذلك الرَّدُّ، وهذا لا ينبغي، بل الذي ينبغي أن تستحضر أنها دعاء له بالسلامة من الآفات الحسية والمعنوية، فالسلامة الحسية سلامة البدن والعرض والمال، والسلامة المعنوية سلامة الدين؛ لأن الإنسان محوط بآفتين، آفة الدين وآفة الدنيا، والسلامة منهما جميعًا من أكبر نعم الله على العبد .

فإذا كنت لا تستحضر إلا أنها تحية فلا فرق بينها وبين قولك: (أهلاً وسهلاً)، بل ربما تكون التحية بـ (أهلاً وسهلاً، مرحبًا يا أبا فلان، حياك الله وبياك)، وما أشبه ذلك من الكلمات الترحيبية تكون أبلغ من هذا.

وما دمنا لم نقصد المعنى الذي قصده الشارع صار لَفْظًا مُجرَّدًا، فينبغي لنا إذا سلمنا على أحد أن نستحضر أننا ندعو له بالسلامة من الآفات؛ ولهذا لو أتيت بكل ترحيب ما قابل هذه الجملةَ الدُّعائية: أن تدعو الله تعالى له بالسلامة[١].

(١) انظر تفسير سورة الأحزاب ص ٤٦٦ .

فائدة

ينبغي لنا أن نستشعر ونحن نقول ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦] أننا ندعو لأنفسنا وللأمة جميعًا[١].

❋❋❋

(١) انظر تفسير سورة الفاتحة ص٨٠ .

فائدة

في حديث سيد الاستغفار يقول الإنسان: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ)، قوله: (على عهدك) أي على ما عاهدتك عليه من الطاعة، لأن الله تعالى عاهد بني آدم على الطاعة، (ووعدك) الإيمان بما وعدت، فالإنسان عند فعل الطاعات يستشعر شيئين:

الشيء الأول: أنه قائم بالعهد .

الشيء الثاني: أنه مصدّق بالوعد، ولهذا قال: (أنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ)، لأنه إذا قام بالعهد وصدّق بالوعد صار منطبقًا عليه أنه فعل الشيء إيمانًا واحتسابًا، وقد قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (مَن قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ) فالعهد: الطاعة، والوعد: الإيمان بما وعد الله من الثواب عليه، يعني وأنا مصدّق بما وعدت[(١)].

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ١٤/ ١٦..

فائدة

في قـول النبـي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ» هـذا كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [سورة الانشقاق: آية ٦]، فأيُّها الإنســان! ستلاقي ربك عَزَّوَجَلَّ، فانظر ماذا أعددت لهذا اللقاء؟

هل أعددت عملاً يُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنك، أو أعددت عملاً يُخجلك أمام الله؟! وهذا اللقاء لا بد منه.

قــال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِنْكُـمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَـيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»، أي: مترجم، بل يُكَلِّمك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بدون واسـطة، فتصوَّر هذا اللقاء، وتصوَّر هذه المكالمة إذا وقفت بين يدي الله!

وهذا شــيء ليس ببعيد، ليس بينك وبينه إلا أن تخرج روحك من بدنك، ثم ينتهي كل شــيء، ولا يبقى إلا أن تقوم الســاعة، ثم تُلاقي ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى(١).

(١) انظر التعليق على صحيح البخاري ١٤/ ٤٤.

فائدة

قال الله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: آية ١٩٥].

قوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ أي افعلوا الإحسان في عبادة الخالق؛ وفي معاملة المخلوق؛ أما الإحسان في عبادة الخالق فقد فسره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بقوله: (أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ)؛ وأما الإحسان في معاملة الخلق: فأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به من بذل المعروف، وكف الأذى.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ تعليل للأمر بالإحسان؛ ولو لم يكن من الإحسان إلا هذا لكان كافيًا للمؤمن أن يقوم بالإحسان.

إذا اسقيت شخصًا ماءً، فهذا إحسان، إذا فعلت هذا فاستشعر أن الله يحبك؛ لأن هذه نقطة مهمة ومفيدة، أنك إذا فعلت الإحسان تشعر بأنك ترجو بذلك محبة الله؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ إذا اخبرت أخاك بمسألة من العلم ففهمتها إياه، فهذا إحسان، استشعر هذا المعنى أنك بهذا العمل تعرضت لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ وهكذا(١).

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٢/ ٣٨٩.





فائدة

لـو أن المؤذنيـن استشـعروا هـذه المعـاني العظيمـة للأذان، وكذلـك نحـن السـامعين لحصل في ذلـك خير كثيـر، أنها تفتح أبواب السـماء لهذا الذكر، وأن الشـياطين أيضـًا تهرب من هذا الذكـر، وأن الرحمة تنزل بهذا الذكر، لو كنا نشـعر بهذا لكان لنا ذوق للأذان غير ما نتذوقه اليوم، وأنه مجرد إعلان فقط ...

والأذان - سـبحان الله - شـيء عجيـب، يعنـي: إذا تأملـه الإنسان يجد فيه أشياء عجيبة، تعظيم لله، شهادة بالتوحيد، شهادة بالرسالة، دعاء للصلاة، دعاء للفلاح، إشارة إلى أن إقامة الصلاة من الفـلاح إلى غير ذلك من الأشـياء التي كلما تأملها الإنسـان تبين له بذلك حكمة الله عَزَّوَجَلَّ[1].



(١) انظر شرح اقتضاء الصراط المستقيم ص

فائدة

مع الأسف أننا نقوم بوظائفنا لا نتقرب إلى الله بذلك إلا من وفّقه الله، مع أن القيام بالوظيفة من التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ عبادة، أنت حينما تقوم بوظيفتك لا تظن أنك مجرّد عامل فقط، أنت قائم بأمر مفروض عليك من قبل الله عَزَّوَجَلَّ، فهو يقربك إلى الله قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [سورة المائدة: آية ١] والوظيفة عقد بين الموظف وبين الجهة المسؤولة، وقال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [سورة الإسراء: آية ٣٤] والموظّف متعهّد وقد جعل على نفسه عهداً أن يقوم بالوظيفة، إذن فأنت إذا قمت بواجب الوظيفة فأنت ممتثل لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، قائم بواجب، والقيام بالواجبات أحب إلى الله تعالى من المسنونات، ففي الحديث القدسي أن الله قال: «ما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدي بِشيءٍ أحبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليهِ»[1].

❋❋❋

(١) انظر فتاوى الحرم المكي

فائدة

ينبغي ألا يكون الإنســان منا كلاً، يجلس إلى أهله لا يكلمهم، ولا يتحدث إليهم، إن كان طالب علم فكتابه معه، وإن كان عابداً يقرأ القرآن أو يذكر الله ولا يتكلم، ثم إذا سُئل لماذا لا يتكلم قال: «مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

نقول لـه: النبي ﷺ **قال:** «فَلْيَقُلْ خَيْـرًا» والخير إما أن يكون في ذات الكلام، أو في غيره مما يؤدي إليه الكلام، ولا شـك أنك إذا تكلمت مع أهلك، أو مع أصحابك بكلام مباح في الأصل وقصدك إدخال الأنس والسرور عليهم، صار هذا خيراً لغيره، وقد يكـون خيراً لذاته أيضًا مثل أن يلقي عليهم مسـألة فقهية أو قصة يعتبرون بها، أو نحو ذلك، فالمهم أن تجتنب ما لا يعنيك[1].

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ٦/ ٥٣٠.

فائدة

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠٣].

الذكر يكون بالقلب، واللسان، والجوارح؛ فذكرها باللسان أن تقول: أنعم الله علي بكذا، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [سورة الضحى: آية ١١]؛ فتثني على الله عَزَّوَجَلَّ بها تقول: اللهم لك الحمد على ما أنعمت علي به من المال، أو الزوجة، أو الأولاد، أو ما أشبه ذلك.

وذكرها بالقلب: أن تستحضرها بقلبك، معترفًا بأنها نعمة من الله.

وذكرها بالجوارح: أن تعمل بطاعة الله، وأن يرى أثر نعمته عليك(١).

❀❀❀

(١) انظر تفسير سورة البقرة ٣/ ١٣٢.

فائدة

الحجـاب عبادةٌ وتَدَين وتقـرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وليس من باب العادات والتقاليد، بل هو من باب الأوامر التي أمر الله بها ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيكون فِعْلُهُ قَرْبَةً إِلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وهذه نُقطةٌ مِهِمَّةٌ، لأننا إذا اعتَقَدْنَا أنه عادات وتقاليد، ثم سَـافَرْنَا مِن بَلَدٍ عاداته وتقاليده الاحتجابَ إلى بلـد لا يعتادُونَ ذلك، فهـذا يقْتَضِي ألا تُحَجَّبَ المرأة هناك؛ لأن عاداتهم وتقاليدهم لا يجب فيها الاحتجاب.

ولكني أقولُ لإخواني من رجالٍ ونِسَـاء: إن الحجابَ شَـرْعُ، وليس عادةً؛ لأمر الله بِهِ ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأنه خُلُقٌ وحَياءُ، ولا شك أن الحياء من الإيمان ...

فعلى المرأة : أن تَتَّقِيَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وأَن تَرْتَدِيَ الحِجَابَ الشَّرْعِيَّ الذي كان نِسـاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونسـاء المسلمين يرتدينه؛ تعبداً لله، وتقربـًا إليه، واحتسابًا للأجر والثواب[(١)].

(١) انظر اللقاءات الشهرية ١/ ٥٦٠.

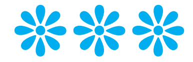



فائدة

في قــول عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وأَحْيَا لَيْلَـهُ) أي بالقيام والذكر، أي سـهر الليـل فلم ينم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لاشـتغاله بالقيام، ولـم يرد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقوم الليل كله إلا في العشر الأواخر من رمضان، ولكن إذا قال قائل: كيف يتأتى ذلك مع أن الرسـول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يفطر ويصلي المغرب ويصلي العشاء ويتوضأ ويقضي حاجته.

فالجواب: أن الاسـتعداد للعبادة من العبادة، ولذلك قال أهل العلم: ومقدمات الصلاة داخلة في إحياء الليل، فمثلاً لو كان إنسان يتأهب ويقضي حاجته ويتوضأ، وإذا أحب أن يغتسـل للتنشـيط، ويشرب قهوة وشايًا، فهل يدخل ذلك في إحياء الليل؟

نقول: نعم؛ لأن هذا وسيلة فيدخل في هذا[1].



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٧/ ٤٨٨.

فائدة

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِم إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ؛ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»[١].

إذا شهدت الجنازة حتى يصلى عليها فلك قيراط، وإن استمررت معها حتى تدفن فلك قيراطان، لكن اشترط هنا: أن يكون ذلك إيمانًا واحتسابًا، يعني: إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده واحتسابًا لثوابه، وليس قصدك المجاملة لأهل الميت؛ لأن المجاملة لأهل الميت ثواب عاجل في الدنيا فقط، وقد يؤجر الإنسان على مجاملة إخوانه، لكن الأجر الذي هو قيراطان فهو لمن تبعها إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بالله وثقة بوعده واحتسابًا لثوابه[٢].

❋❋❋

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٥٣٣.